سلسلة
ومضات إعجازية من القرآن والسنة النبوية
(١٢)

الكتاب الثاني عشر

الجملة العصبية والطب النفسي

الدكتور المهندس
خالد فائق العبيدي

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

منشورات محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

جميع الحقوق محفوظة
Copyright
All rights reserved
Tous droits réservés ©

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة
لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو
مجزأً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر
أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

Exclusive rights by ©
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Beirut - Lebanon

No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à ©
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Beyrouth - Liban

Toute représentation, édition, traduction ou reproduction même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite sans autorisation préalable signé par l'éditeur est illicite et exposerait le contrevenant à des poursuites judiciaires.

الطبعة الأولى
٢٠٠٥ م - ١٤٢٦ هـ

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

رمل الظريف - شارع البحتري - بناية ملكارت
الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢/١٣ (٥ ٩٦١+)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor
Head office
Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage
Administration général
Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
B.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أفضل وأشرف رسله وأنبيائه سيدنا محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فهذا هو لقاؤنا الثاني عشر معكم في سلسلتنا (ومضات إعجازية)، وسنتعرض في هذا الكتاب والذي يليه إلى السبق القرآني في مجال غاية في الأهمية، وهو النفس البشرية علومها وأسرارها.

إن موضوع الجملة العصبية والنفس والأرواح هو من المواضيع المعقدة والشائكة لأنها ترتبط ارتباطاً مباشراً بهذه النعمة الإلهية العظيمة، الدماغ هذا اللغز الذي حير البشرية منذ نشأتها وإلى الآن وحتى يرث الله الأرض ومن عليها.. وهذا الموضوع أيضاً فيه من الإعجاز القرآني ما يبعث على العجب حقاً، وإن ما توصل إليه كبار علماء وجراحو العالم ممن كانوا لا يعتقدون بوجود الروح وأن الإنسان هو مادة فقط، يعتبر نصراً كبيراً للإسلام، ومن أراد التفصيل فليرجع إلى كتب ومقالات وبحوث ودراسات أجراها علماء وباحثون ومختصون وأطباء وخبراء عالميون كثيرون من المسلمين أو من الأجانب غير المسلمين.. فقد اعترف هؤلاء من خلال هذه البحوث بوجود الروح، وأن الإنسان هو روح وجسد وليس جسد حسب، وأن القرآن هو الحق المطلق، وأن المعلومات التي توصلوا إليها في بحوثهم الطبية سواء أكانت في الطب النفسي والأحلام أو الجملة العصبية والدماغ ومتاهاته أو موضوع الأرواح والباراسايكولوجي في سنين عديدة تصل إلى ٣٠ عاماً من العمل المضني لفريق أو فرق بكاملها، فإن القرآن العظيم والسنة الشريفة كانا قد سبقاهم بالإشارة في آيات أو أحاديث شريفة، وقد أثبتوا ذلك علمياً وعرضوا نتائجهم في مؤتمرات وبحوث علمية طبية..

وقد قام الدكتور الاختصاصي بهذا المجال أحمد عدنان بإلقاء عدة محاضرات بهذا الخصوص موضحاً الإعجاز القرآني العظيم في هذا الحقل من العلم فجزاه الله ألف خير،

وفي كتابنا هذا والذي يليه سيكون لنا إطلالة على هذا البحر الكبير.

كما يبحث هذا الكتاب في تربية الإسلام للنفس البشرية وكيفية السمو بها لتجعل من صاحبها فرداً مفيداً للمجتمع، وكيف عالج كل من القرآن والسنة هذه المفردة الخطيرة التي يبنى عليها كل معروف وخير في هذا العالم.. والإسلام يبني الأمور على التناغم والترابط بين المادة والروح، والعلم والخلق وكما ذكرنا في الكتب السابقة... فمثلاً يبين لنا النبي ﷺ أن العمل الخيّر والمعروف لا يقتصر على ممارسات تعبدية، بل هو خلق جميل وتعامل طيب مع الجميع بدءاً من الأسرة وانتهاءً بالعمل والمجتمعات، بل وحتى ابتسامة رقيقة مع الناس تكتب لك فيها عمل صالح يرضى به الله عنك ويكافئك عليه في الدنيا بمحبة وقبول تنزل لك في قلوب الناس، وفي الآخرة لك به الجزاء الأوفى.. فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه (كتاب البر والصلة والآداب ٤٧٦٠) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ لِيَ النَّبِيُّ ﷺ (**لاَ تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ**)..

فهل من تربية للنفس أجمل وأسمى من ربط العبادات بالسلوك والمعاملات لبناء الإنسان الأمثل ومن ثم المجتمع الأجمل.

الفصل الأول

الجهاز العصبي والحسي

١ - الأعصاب وجذع الدماغ:

يقول الدكتور عمار محمد سليمان الشماع في بحثه (حبل الوريد في القرآن والحديث والطب) ما نصه: قال الله ﷻ ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ ، (سورة قٓ: ١٦).

عندما نمعن النظر فيما قدمه المفسرون لنا من السلف الصالح بخصوص هذه الآية الكريمة نجد أن معظم الآراء تلتقي على أن حبل الوريد قد قصد به وعاء دموي وهو العرق بجانب العنق تزعم العرب أنه من الوتين(*). ولكن هناك بعض المؤشرات التي تجعل هذا التفسير بعيداً عن الدقة لمن نظر في الآية بتعمق وتخصص أكثر. فعبارة حبل الوريد لا تعني وعاءاً دموياً لأن الحبل وهو ما يكون غير مجوف (أو غير أنبوبي) لا يمكن أن يسمى حبلاً إذا أصبح مجوفاً لأنه بذلك يفقد من قوته ويكتسب صفة أخرى. ولقد ربط الله سبحانه وتعالى في هذه الآية بين وسوسة النفس وبين قربه من حبل الوريد، وعلى اعتبار أن الوسوسة تحصل في الدماغ فإن هناك أعضاء أخرى هي أقرب للدماغ من العرق في الرقبة وعليه كان من باب أولى أن يتم ذكرها بدلاً من هذا العرق فضلاً عن أن العرق الدموي ليس له علاقة بعملية الوسوسة. بالإضافة إلى ذلك فلو كان المقصود بحبل الوريد ذلك العرق الذي ينقل الدم إلى الدماغ فإن هناك عرقاً آخر لا يقلُ أهمية عن العرق الأول يقوم بنقل الدم إلى أماكن غاية في الأهمية من الدماغ. أضف إلى ذلك الحقيقة التي تضمنتها الآية الكريمة وهي الإشارة إلى حبل الوريد على أنه عضو فردي وغير مزدوج وهذه الحقيقة لا تتفق مع التفسير المصطلح عليه لحد الآن إذ أن

(*) تفسير البيضاوي، القاضي ناصر الدين البيضاوي (ج٢ ص٤٢١ —٤٢٢)، تفسير الجلالين لمحمد أحمد المحلي وجلال الدين السيوطي (ص٦٨٧ دار المعرفة — بيروت)، ومختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي (ص٧١٦).

هناك في كل جانب من الرقبة عرقاً مستقلاً، فيكون هناك عرقان في الرقبة وليس عرقاً واحداً. والآية الكريمة قد تجلت فيها ثلاث صفات عظيمة لله ﷻ دلت على قدرته تعالى في تصريف إرادته ابتداء بخلق الإنسان ومن ثم علمه بالوسوسة التي تحصل في النفس وأنه تعالى أقرب للإنسان من حبل الوريد حيث نبه ﷻ على سعة علمه وكماله بخلق الإنسان وعلمه بحاله وما يخطر بباله وما يجول في نفسه. وعليه لا بد أن يكون حبل الوريد هذا ذا أهمية كبيرة، وبما أن الله تعالى قد ربط بين وسوسة النفس وبين حبل الوريد في آية واحدة فإنه من البديهي أن تكون لحبل الوريد هذا علاقة وثيقة بعملية الوسوسة وبالتالي كان لا بد أن يكون حبل الوريد غير الذي أشير إليه سابقاً على أنه عرق في العنق. إن اصل الوسوسة هو الحركة أو الصوت الخفي الذي لا يحس فيحترز منه، وعلى الأغلب فإن وسوسة النفس (الكلام الخفي الذي يحصل في النفس) ذات علاقة مباشرة بالذهن وأن الذهن هو المظهر الذاتي، أو الباطني للدماغ والذي يقوم بوظائف استرجاعية، فهو عبارة عن جهاز استرجاع ذاتي، وقد اتضح مؤخراً بأن هذا الجهاز هو من المظاهر المركزية للوعي. يتضح مما تقدم أن حبل الوريد هو جزء من أجزاء الدماغ المهمة، وله علاقة بالوعي واليقظة والأفعال الإرادية وغير الإرادية وذو اتصال مباشر وغير مباشر مع معظم أجزاء الدماغ المختلفة. وباعتقادنا فإن حبل الوريد يكون على الأغلب هو جذع الدماغ (Brain Stem)، والله ﷻ أعلم بمراده.

إن جذع الدماغ هو جسم عصبي يبلغ طوله حوالي ٧,٥ سم، يختلف في تركيبه الأساسي عن الأوعية الدموية التي تتميز جدرانها بخصائص تجعلها متخصصة لنقل الدم وليس لها بأي حال من الأحوال صفات الحبل لربط أو تثبيت أعضاء أخرى، وهذا بخلاف جذع الدماغ الذي يعتبر وسيطاً لربط نصفي كرة المخ مع النخاع الشوكي فتظهر خواص الحبل فيه، ومن ناحية أخرى فإنه الوريد الذي يورد أو عن طريقه ترد المعلومات من وإلى الدماغ وعليه فان كلمة الوريد هي تبيان لتوريد المعلومات والحوافز الداخلة والخارجة من الدماغ.

وبالإضافة إلى هاتين الصفتين (كونه حبلاً وكونه مورداً للمعلومات) فإن لجذع الدماغ صفة مهمة أخرى هي احتواؤه على ما يسمى بالجهاز المنشط الشبكي ولهذا الجهاز وظائف عديدة أهمها المحافظة على حالة الوعي فيكون الإنسان في حالة انتباه

وتيقظ. وكذلك فإن هذا الجهاز يجعل استلام المحفزات من قبل الدماغ ممكناً ولو قطع الاتصال بين النكوين الشبكي وقشرة المخ لأصبح الشخص في حالة سبات عميق. فضلاً عن علاقة الجهاز الشبكي المنشط بالانتباه، اليقظة، الوعي، النوم وفعاليات الدماغ الكهربائية فإنه يستلم أيضاً ويورد المعلومات من الأجهزة السمعية والبصرية والشمية ولهذا فمن غير الغريب أن اعتبر قسم من العلماء تدمير جذع الدماغ معادلاً لموت الدماغ الكامل أو دليلاً على ذلك. وإذا رجعنا إلى الآية الكريمة نجد أن السياق مستمر يدل على ارتباط الوسوسة مع حبل الوريد إذ يوجد ارتباط مباشر بين ما يحدث الإنسان به نفسه بصورة خفية وبين ما يمكن أن يتحول من الأفكار والخواطر إلى فعاليات إرادية حركية وهذه الفعاليات تكون ذات علاقة مباشرة وغير مباشرة مع جذع الدماغ إذ تمر الإيعازات من خلاله إلى باقي أنحاء الجسم. وبذلك فإن الله ﷻ قد أعلن في هذه الآية الكريمة أنه يعلم الوسوسة في وقت حدوثها وكذلك قبل تحولها أو وصولها إلى جذع الدماغ حيث يكون التحول من النية إلى الفعل الحركي في بداياته وبالتعاون مع بقية أجزاء الدماغ الأخرى، فهو ﷻ أقرب إلى الإنسان من هذه المرحلة، وهو سبحانه بذلك أقرب إلى الإنسان من وعيه وحسه ويقظته وانتباهه وأن جميع هذه الفعاليات مهمة لإظهار عملية الوسوسة فكان ذلك الربط الإعجازي في هذه الآية الكريمة بين عملية الوسوسة وبين حبل الوريد وكل ما يحدث فيه من فعاليات مهمة، وهذه لفتة بديعة أخرى في مضمون هذه الآية وصدق الله إذ يقول ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝ ﴾، (سورة الأعلى). وعلى ما يبدو فقد تم ذكر جذع الدماغ في الحديث الشريف الذي ذكره البخاري في صحيحه عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال ((**يعقدُ الشيطانُ على قافية رأس أحدكُم إذا نام ثلاث عُقد، يضربُ على كُلِ عُقدة مكانها: عليك ليلٌ طويل فارقُد، فإذا استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عُقدة، فإن صلى انحلت عقدُهُ كُلها فأصبح نشيطاً طيب النفسِ وإلا أصبح خبيث النفس كسلان**))[٥]. في هذا الحديث الشريف دلائل وإشارات بديعة تتعلق بجذع الدماغ منها:

أ- ذكر الحديث قافية الرأس وقافية الرأس من الناحية التشريحية تعني الحجرة

---

(٥) صحيح البخاري باب التهجد، ١٩٩/١، دار الفكر – بيروت.

الخلفية للجمجمة التي يقع فيها كل من جذع الدماغ (Brain stem) والمخيخ (Cerebellum).

ب- أشار الحديث الشريف إلى شر من شرور الإنسان وهو أنه إذا نام الإنسان عقد الشيطان على رأسه عقداً تمنعه من اليقظة حتى ينام إلى الصباح، وكما معلوم أن اليقظة والانتباه والوعي كلها من وظائف الجهاز المنشط الشبكي (Reticular activating sys) والواقع في الجزء المركزي لجذع الدماغ.

ج- حدد الحديث بأن الشيطان يعقد ثلاث عقد كل عقدة لها مكانها ونحن سوف ندرك مجدداً مدى إعجاز هذا الحديث إذا علمنا أن جذع الدماغ يتكون من ثلاث مناطق تشريحية واضحة هي:

١. **Medulla**.
٢. **Pons** .
٣. **Mid brain** .

وجميع هذه المناطق تحتوي على الجهاز المنشط الشبكي الذي بواسطته يتم الوعي.

د- يتضح من الحديث أن عملية النهوض لأداء صلاة الفجر ممكنة لأنها قرب الصباح إذا ما توفرت الإرادة لذلك، وقد أثبت حديثاً أن نوبات النوم العميق تقل قرب الصباح كما سنوضح في كتاب الأحلام، فلماذا يتحجج البعض بأن النهوض للصلاة أمر صعب، بينما لا يذكرون أن إرادتهم لمحاربة السهر والنهوض المبكر ضعيفة.

فقد ثبت علمياً أن هناك ساعة بيولوجية لدى الإنسان أدق بكثير من الساعات الميكانيكية والإلكترونية، وهذه تضبط بالعزيمة والإرادة والتمرين، فتوقظ صاحبها على أمر عزم عليه قبل نومه.. كما أثبت مؤخراً أن المخ البشري يمتلك "نظاما للإنذار المبكر".. نعم أيها الأخوة فقد كشفت دراسة علمية حديثة أجراها فريق من العلماء بكلية "يونيفرستي كولدج" في لندن النقاب عن أن المخ البشري يمتلك نظاماً للإنذار المبكر يتمكن من تذكر المخاطر التي تعرض لها الإنسان في الماضي بطريقة لاشعورية. وقال العلماء في بحثهم الذي نشرته دورية نيتشر العلمية إن إعاقة عمل هذا النظام قد تساعد

على علاج الألم.

وقال الباحثون إن المتطوعين الذين شاركوا في الدراسة لم يتمكنوا من تذكر تفاصيل اختبار كانوا يتعرضون خلاله لصدمات كهربائية خفيفة. لكن نشاط المخ أظهر أن عقولهم سجلت هذه المعلومات بطريقة سليمة باستخدام عدد من العمليات الحسابية المعقدة. وأجرى فريق من الباحثين في قسم ويلكوم لعلم تصوير الأعصاب بالجامعة اختبارات لمدة نصف ساعة على عقول ١٤ مريضاً باستخدام جهاز مسح وظيفي يعمل بالرنين المغناطيسي. وعرض على المرضى تسلسل من صور لأشكال مجردة تعقبها صدمة كهربية لمدة ثانية واحدة تعادل ألم شكة الدبوس. وعندما اكتملت الاختبارات لم يتمكن كثير من المتطوعين من تذكر تسلسل الصور. لكن المسح باستخدام الرنين المغناطيسي أظهر أن منطقتين رئيسيتين، هما المخطط البطني وجزء من قشرة المخ. كانتا تعملان معا على توقع ما سيأتي لاحقا.

يقول الدكتور بن سيمور: تبين لنا كيف يحدد المخ الأحداث التي قد تكون خطيرة أو مؤلمة عن طريق تفسير تسلسل الأحداث وتقييم الاحتمالات. وقال الدكتور بن سيمور الذي قاد فريق البحث "لو عرضنا (على المرضى) شكلا مربعا ثم دائرة تتبعها الصدمة المؤلمة فإن هذا الجزء من الدماغ قد يتعلم سريعا توقع أن الدائرة تحمل نبأ سيئا". وأضاف "لكن بعد فترة وجيزة سيدرك هذا الجزء من المخ أن رؤية المربع ليست بالخبر الجيد أيضاً لأن الدائرة تتبعه.

وقال الدكتور سيمور "المخ عبارة عن حاسوب حيوي ناجح إذ يحتوي على نحو مائة مليار خلية عصبية تحدد أفكارنا وسلوكياتنا. وأضاف "برغم عدم إدراكنا الدائم لذلك، يحاول المخ التأكد من محافظتنا على أنفسنا من خلال إستراتيجية رياضية معقدة. "وقد تبين لنا كيف يحدد المخ الأحداث التي قد تكون خطيرة أو مؤلمة عن طريق تفسير تسلسل الأحداث وتقييم الاحتمالات"، "تمكن المخ، عن طريق تسجيل هذا التسلسل من الأحداث، من إطلاق أجراس إنذار مبكر في دماغ المتطوع". واستطرد سيمور قائلا "تخيل أن كلب جارك عضك. ستتعلم سريعا ليس فقط تجنب الكلب، لكن أيضاً تجنب أشياء ترتبط به مثل فرائسه المفضلة." ويأمل سيمور أن يساعد إجراء مزيد من الأبحاث عن المهارات الحسابية للمخ العديد من الأشخاص الذين يعانون من ألم مستمر. وقال سيمور "بالرغم أن الألم المزمن شائع نسبيا، فإنه يظل غير مفهوم وغالبا ما يصعب علاجه".

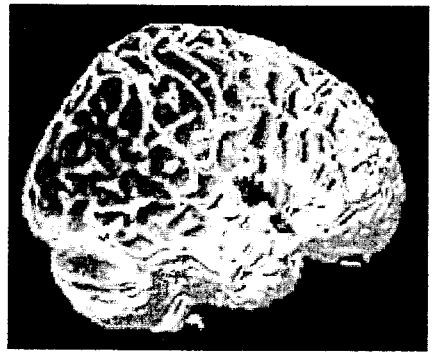

صورة للمخ مع توضيح للمكان الذي تجري فيه عمليات
الإنذار المبكر والساعة البيولوجية

يتضح مما تقدم ما يلي:

- يعتبر جذع الدماغ الحبل الذي يربط الدماغ بالنخاع الشوكي ويتميز باحتوائه على ارتباطات عصبية واسعة مع جميع المراكز الدماغية وأنه يورد المعلومات من وإلى الدماغ، كما أن له علاقة وثيقة باليقظة والانتباه.

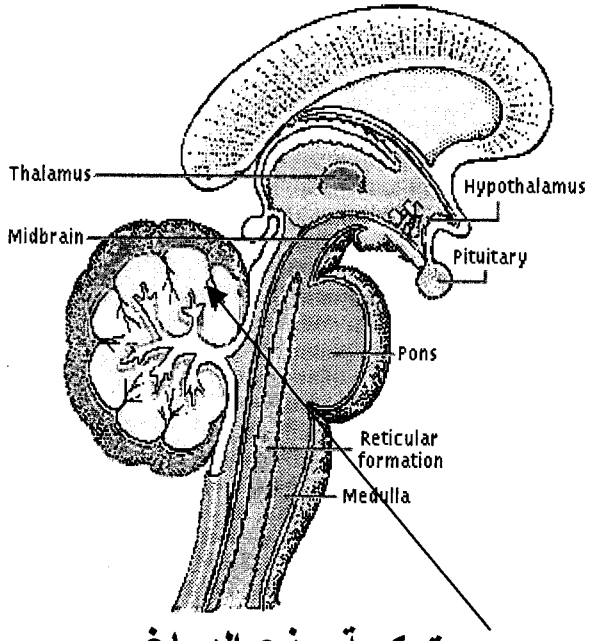

تركيبة جذع الدماغ
Brain Stem

أشار ﷻ في هذه الآية الكريمة إلى انه أقرب للإنسان من حبل وريده. فهو سبحانه يعلم الوسوسة قبل حدوثها وكذلك فهو أقرب للإنسان من مرحلة تحول الوسوسة والنية إلى فعل مادي حركي وهي لا تزال في طور الإيعازات العصبية داخل الدماغ، فيكون الله جل وعلا أقرب للإنسان من وعيه وحسه وانتباهه.

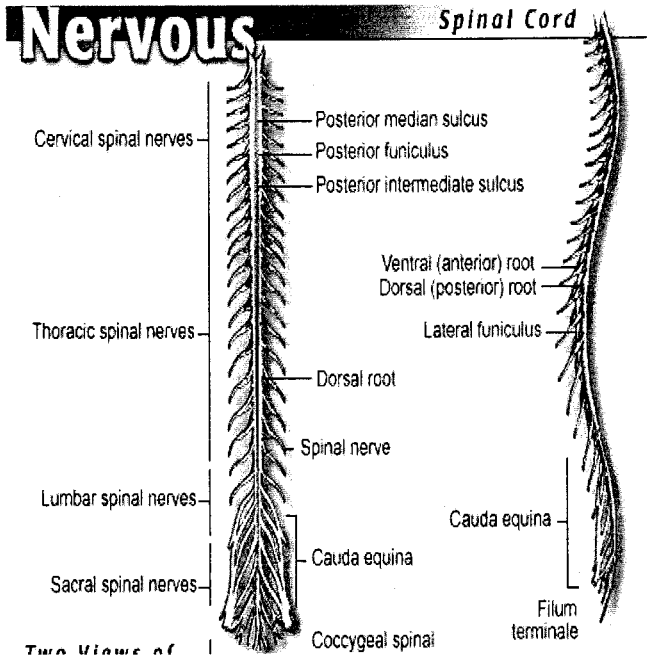

النخاع الشوكي

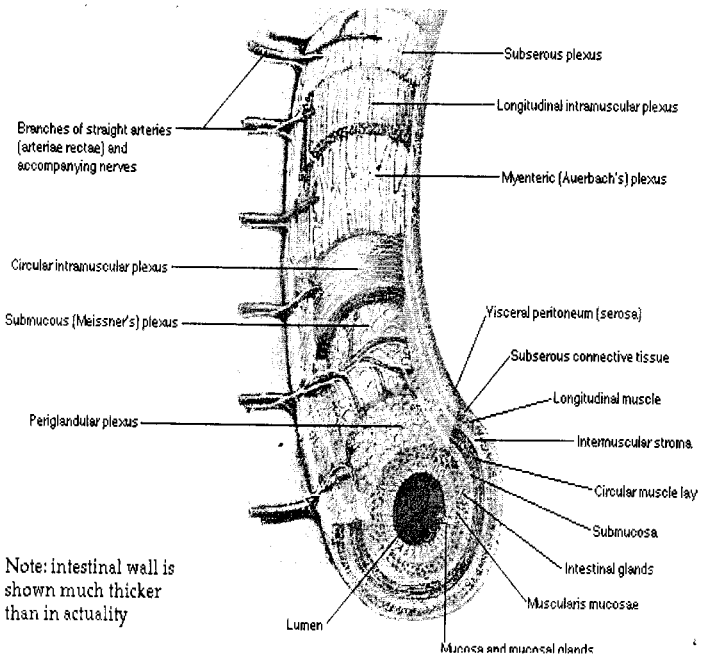

مقطع في حبل الوريد أو جذع الدماغ –اللون الأصفر- وبجانبه الوعاء الدموي المفتوح

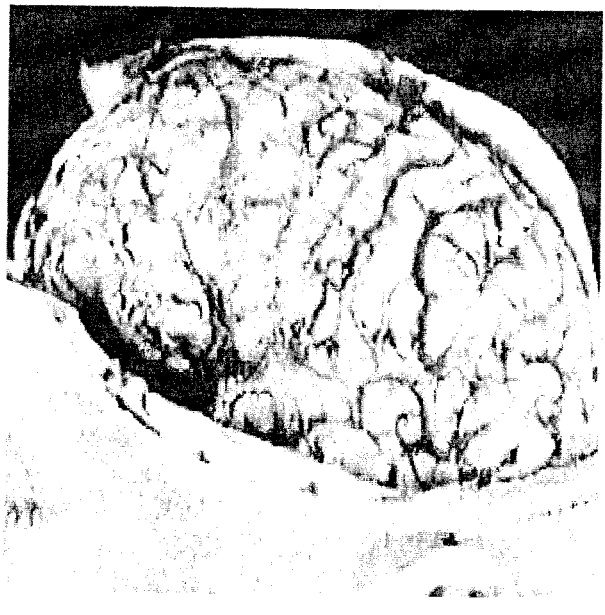

دماغ إنسان مفتوح أثناء عملية جراحية

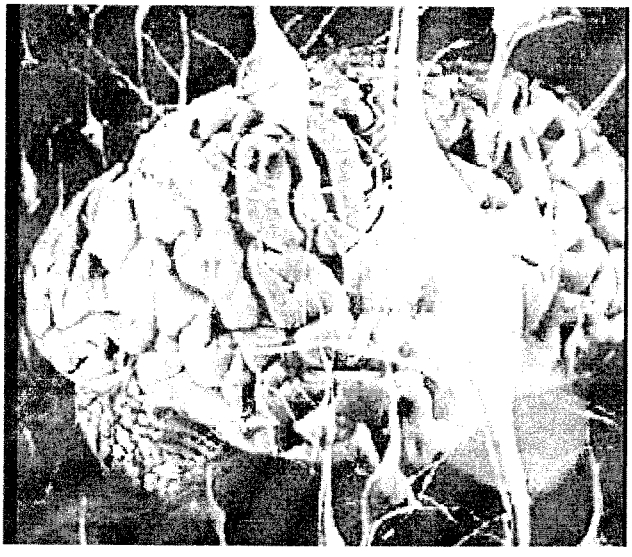

صورة توضح لك كيفية انتقال الأخبار إلى دماغك عن طريق الحواس ثم الأعصاب المعقدة والمتشابكة

نستنتج من ذلك بأن حبل الوريد هو على الأغلب جذع الدماغ وليس الوعاء الدموي في الرقبة كما قال بذلك المفسرون الأقدمون رحمهم الله، وأخذ عنهم المفسرون المعاصرون، إذ لم يتوافر لهم ما توصل إليه العلم والطب الحديث اللذان بواسطتهما أصبحنا نفهم كثيراً من الحقائق القرآنية والأحاديث النبوية التي لم تكن تفسيراتها معروفة للأجيال السابقة، والله أعلم.. والله تعالى يقول الحق وهو يهدي السبيل.

ومن الأمور التي تذكر هنا أن العلم الحديث اكتشف أن الدماغ يقوم بعملية غسيل يومي ذاتي لتجديد حيوية الماء الذي يحمله، كما وأن هذه العملية لها فوائد في تبريد الأدمغة، وهذه العملية تتكرر يومياً ٥ مرات، وهو نفس عدد الصلوات للمسلمين التي معها يكون الوضوء، فسبحان من جعل نظافة الجسم من خارجه متناسقة مع نظافة الدماغ الذي هو أسمى شيء لدى الإنسان..

كما وأكدت دراسات حديثة أن إجراء هذه العملية — أي غسيل وتبريد الأدمغة — صناعياً لها فوائد في إنقاذ الأطفال حديثي الولادة.. فقد أكدت دراسة علمية أن تبريد أدمغة الأطفال حديثي الولادة الذين يعانون من نقص الأوكسيجين قد ينقذ هؤلاء الأطفال من الوفاة

أو التعرض لأضرار صحية بالغة. وكانت تجارب دولية أجريت باستخدام طاقية خاصة تحتوي على ماء بارد للأطفال قد أظهرت نتائج إيجابية. ووفقا للدراسة فإن الأطفال الذين يرتدون تلك الطواقي أقل عرضة للوفاة أو التعرض للشلل. غير أن الطاقية التي قام بإنتاجها فريق دولي من الباحثين لم تفد الأطفال المصابين بحالات تلف متأخرة.

يذكر أن نقص الأوكسيجين لدى الولادة قد ينجم عن تمزق الرحم، أو سقوط المشيمة في وقت مبكر، أو تمزق الحبل السري. ووفقا للتقديرات فإن واحدا من كل ألف طفل في بريطانيا يعانون من نقص الأوكسيجين لدى الولادة. ويرتفع العدد بصورة كبيرة في الدول النامية. وحتى الآن لم تنجح أية تدخلات طبية في تغيير الوضع، إذ عادة ما يتوفى العديد من الأطفال أو يتعرضون للعديد من المشكلات مثل الشلل.

غير أن الباحثين في مستشفيات كلية لندن الجامعية اكتشفوا أن الضرر لا يلحق بالمخ فور تعرضه لنقص الأوكسيجين. وإنما يحدث الضرر نتيجة لعدد من التفاعلات الكيماوية على مدار عدة ساعات قبل أن يصبح الضرر مستديماً. ومن ثم فمن المحتمل نظرياً التدخل لوقف التفاعلات الكيماوية وتقليص الضرر المستديم. وإحدى الطرق لتحقيق ذلك هو تقليل درجة حرارة المخ. فقد أظهرت دراسات سابقة أن تقليل درجة حرارة المخ بمقدار ٣ إلى ٤ درجات مئوية عن الطبيعي يبدو أنه يوقف العديد من التفاعلات الضارة.

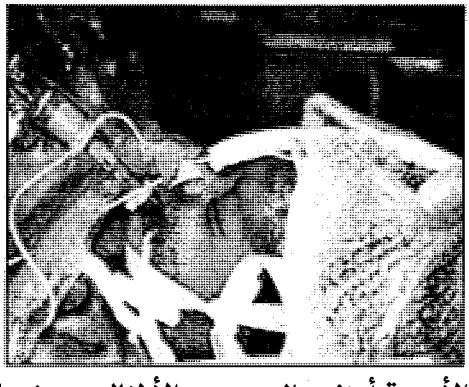

غسيل الأدمغة أنقذت العديد من الأطفال حديثي الولادة

وعلى الرغم من عدم معرفة السبب وراء ذلك، فإنه من الحتمل أن يرجع ذلك إلى تباطؤ التفاعلات الكيماوية ويمنح آليات الإصلاح الموجودة داخل الخلايا فرصة للقيام بعملها. وكان الباحثون في مستشفيات كلية لندن الجامعية قد تكاتفوا مع فريق من الباحثين في نيوزيلندا وبريستول وسياتل لتطوير طاقية التبريد للأطفال. وقد أجريت

الدراسة على ٢٣٤ طفلا من جميع أنحاء العالم. وحصل نصف الأطفال على علاج عن طريق طاقية التبريد بينما خضع النصف الآخر للرعاية المركزة.

وفي إطار البحث تم تبريد أدمغة الأطفال لمدة ٧٢ ساعة ثم تدفئتها تدريجيا ومنحهم رعاية طبية تقليدية. وتابع الأطباء حالة الأطفال لمدة ١٨ شهرا. وقد أظهر الأطفال الذين خضعوا للتبريد تحسنا ملحوظا. فقد تراجعت نسبة الوفيات كما تراجعت حدة الشلل الذي أصاب البعض منهم لدى بلوغهم سن ١٨ شهرا. غير أن الأطفال الذين يولدون بإصابات متأخرة، ٢٠ ٪ من الحالات، لم يستجيبوا للتبريد. وأثناء التجربة حصل الأطفال على العلاج بالتبريد بعد ست ساعات من الولادة غير أن هناك أدلة ترجح فعالية طريقة العلاج بالتبريد في مراحل لاحقة. ووفقا لنتائج الدراسة فإن واحدا من كل ٦ إلى ٨ أطفال قابلين للعلاج بطاقية التبريد نجا من الموت أو من التلف المخي البالغ. وقد أعرب البروفيسور جون وايت من مستشفيات كلية لندن الجامعية عن تفاؤله بنتيجة البحث.

ويجري مجلس الأبحاث الطبية في الوقت الراهن تجربة كبرى لتبريد الجسم بالكامل. وقال وايت إنه من الضروري أن ينهي المجلس تجربته لتحديد أي الطريقتين أكثر فعالية. وأضاف أنه هناك المزيد من الحاجة لمعرفة درجة الحرارة ومدة العلاج المثالية قبل طرح التبريد كطريقة علاج تقليدية.

٢- الناصية:

قال تعالى في هذا الموضوع: ﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝ ﴾ ، (العلق).

الناصية هي مقدمة الرأس وقد وصفها الله ﷻ بالكذب والخطأ مما يدل على أنها مسؤولة عن سلوك وتصرفات الإنسان فالفص الأمامي أو الجبهي (Frontal lobe) مسؤول عن شخصية الفرد وهو المتحكم في تصرفاته وأفعاله من صدق وكذب والذي يمكن بالهيمنة عليه السيطرة على الشخص نفسه وبذلك تكون القشرة الأمامية هي الموجه لبعض تصرفات الإنسان والتي تنم عن شخصيته وهي التي تميز بين هذه الصفات وهي التي تحث الشخص على المبادأة بالخير أو الشر.

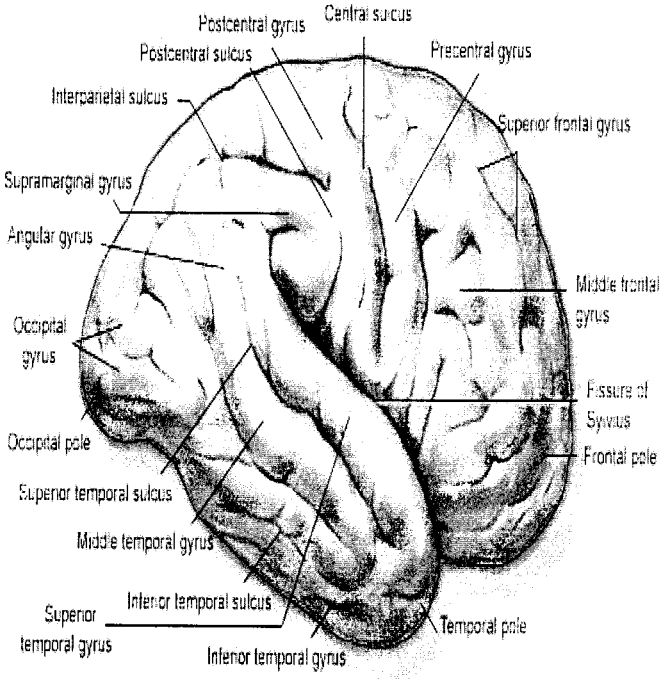

شكل يوضح الدماغ: لاحظ الشكل العام عبارة عن رجل ساجد لله تعالى، والناصية هي محل السجود

قام الأستاذ الدكتور محمد يوسف سكر- أستاذ علم وظائف الأعضاء بجامعة الملك عبد العزيز بجدة- بإجراء بحث معمق في موضوع الناصية هذا ونشره في مجلة الإعجاز السعودية، وقد توصل فيه إلى أن النص القرآني يغوص في أعماق التركيب التشريحي للدماغ البشري، وإليكم التفاصيل:

١- **المعنى اللغوي:** بالعودة إلى اللغة والتفاسير فإن الناصية هي عظام مقدمة الرأس في منطقة الجبهة، وقد وصفت وصفاً حقيقياً بالكذب والخطأ، أي هي كاذبة في قولها، خاطئة في فعلها. هذا يعني أن القدرة على التحكم في الأفعال بجعلها خطأ أو صواب هو وصف لازم من أوصاف هذه الناصية، وهذا الوصف وإن كان من أوصاف الناصية إلا أنه لا يوصف بهذه الأوصاف على الحقيقة، لأنه جزء عظمي من الرأس. فعند دراسة التركيب التشريحي لمنطقة أعلى الجبهة من الرأس وجد أنها تتكون من أحد عظام الجمجمة الذي يعرف بالعظم الجبهي (Frontal bone)، ويستتر خلفه محمياً به أحد فصوص المخ المسمى بالفص الجبهي (Frontal lobe)، وبهذا

يمكن القول أن الناصية كما تطلق على العظم الجبهي فإنها تطلق أيضاً على ما يستتر خلفه من الفص الجبهي للدماغ، فهو الذي يوصف بهذه الأوصاف وصفاً حقيقياً، ويتحقق العمل فيه بظاهر النص من غير حاجة إلى تأويل أو مجاز. إن تعبير إسناد الوصف أو الفعل لشيء والمراد ما فيه هو تعبير شائع في النص القرآني، كما في قوله تعالى ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾، (يوسف: ٨٢)، فلا يوجه السؤال إلى المباني في القرية أو إلى ذوات العير، وإنما إلى الناس في داخل المباني وإلى أصحاب العير.

وكذلك إذا ما عدنا إلى آيات وأحاديث أخرى تؤيد المعنى كما في قوله تعالى: ﴿ ...مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ... ﴾، (هود: من الآية٥٦)، وقوله ﷺ في الحديث (..**ناصيتي بيديك**..) يؤكد هذا المعنى حيث تشير النصوص إلى أن الجزء المختص بقيادة الدواب كلها وتوجيهها — وعلى رأسها الإنسان- يخضع لهيمنة الله تعالى وسلطانه، وهذا الجزء لا بد أن يكون الدماغ حيث هو العضو المختص بتسيير شؤون الدواب والسيطرة على تصرفاتها، وحيث إن النصوص سمت هذا الجزء بالناصية فلا بد أن يشمل الجزء الأمامي من الدماغ الذي يقع خلف مقدمة الرأس.

وبناء على ما تقدم فإن مفهوم النص يتيح لنا أن نقول بأن الناصية بما تحوي من الفص الجبهي للدماغ هي مكان القيادة والتوجيه للسلوك والتصرفات الإنسانية.

كما أن حرية الاختيار للإنسان كما يفهم من النص بهذه الناصية أي بالفص الجبهي للدماغ، فالإنسان هو المخلوق الوحيد الذي يمكن أن يتحكم في سلوكه وتصرفاته من أقوال وأفعال، فيكذب أو يصدق أو يفعل صواباً أو خطأ، لذلك قال رب العزة في الآية المباركة: ﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ ﴾، (العلق :١٥) ، أي لئن لم ينته عما يقول أو يفعل وينزجر، لنأخذن بناصيته أخذاً عنيفاً، وربما يشير هذا التهديد بقطع أو فصل الناصية، لأن السفع هو الأخذ أو الجذب الشديد.

٢- **المعنى العلمي التشريحي:** يظهر العلم الحديث عدة حقائق تميز ناصية الإنسان ودماغه بالمقارنة مع حيوانات أخرى يمكن تلخيصها بالنقاط التالية:

أ- **نسبة وزن دماغ الإنسان إلى وزن الجسم هي الأضخم:** يمتلك الإنسان أكبر نسبة وزن للدماغ إلى وزن الجسم مقارنة مع بقية الحيوانات، أما كوزن مطلق للدماغ فإن الحوت والفيل وخنزير البحر لها أكبر وزن للدماغ.

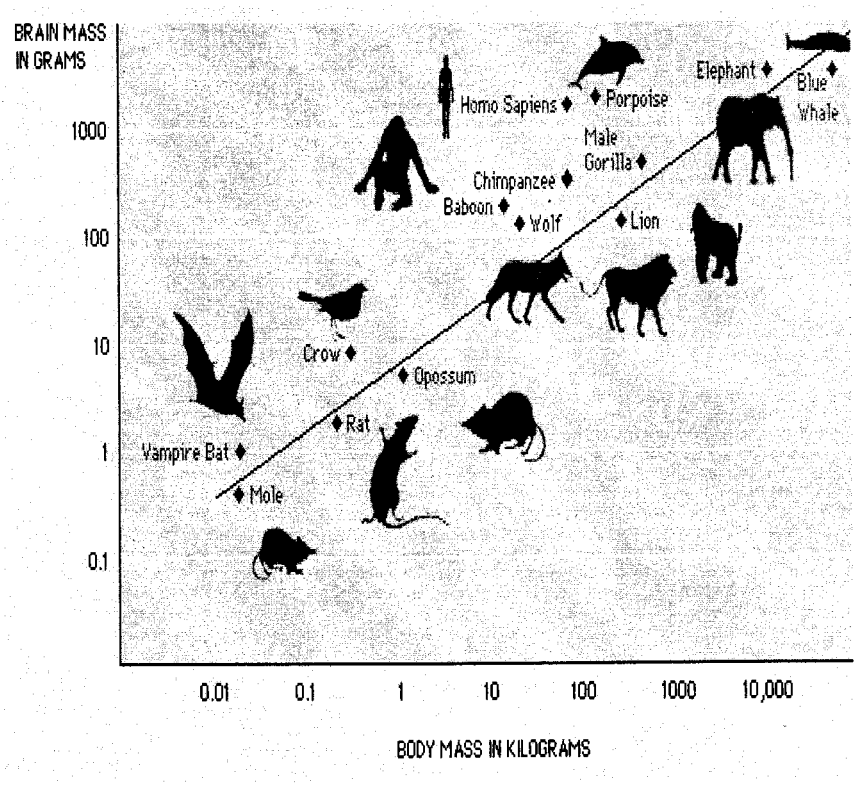

شكل يوضح نسبة وزن الدماغ إلى وزن الجسم
لكائنات مختلفة ومنها الإنسان

ب- **الفص الجبهي أكبر فصوص الدماغ**: فهو أكبر من بقية الفصوص الأخرى، الجداري، الصدغي، القفوي، المخيخ، لاحظ الأشكال القادمة .

ت- **قشرة الدماغ هي الوزن والحجم الأكبر فيه**: يتكون الجزء الأكبر من حجم ووزن دماغ الإنسان من المخ (Cerebrum)، وبالأخص قشرة المخ (Cerebral Cortex)، والتي يمثل الجزء الأكبر منها مناطق الربط الثلاثة منطقة الربط الجدارية الصدغية القذالية ومنطقة الربط الصدغية ومنطقة الربط الجبهية. وتتكون النسبة الكبرى من مناطق الربط هذه من قشرة الفص الجبهي وامتدادها المباشر من قشرة المنطقة قبل الحركية (Premotor area)، وقشرة المنطقة الحركية الإضافية (Supplementary motor area).

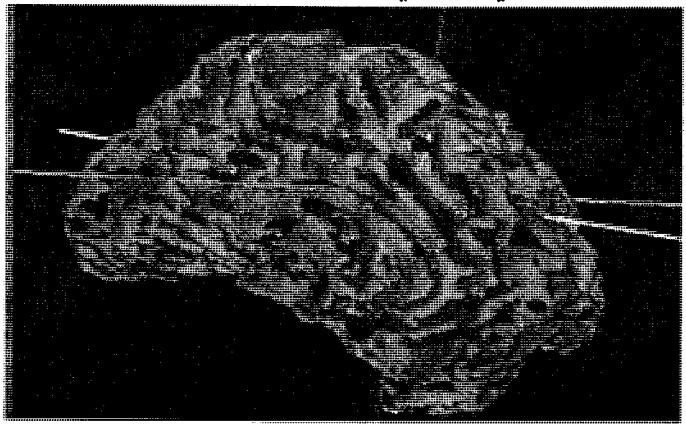

شكل يوضح القشرة السطحية للدماغ وكبرها من حيث الحجم والوزن

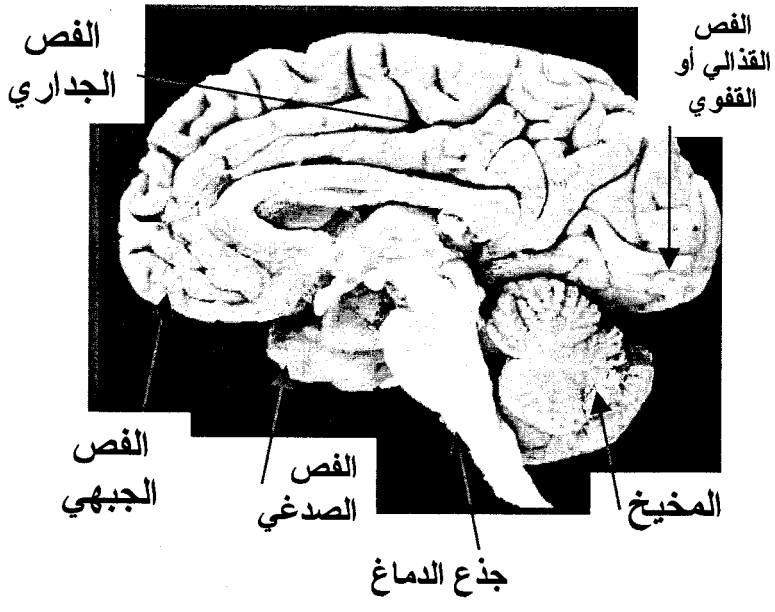

شكل يوضح فصوص الدماغ وتركيبته الخارجية
لاحظ أن الفص الجبهي أو الناصية
هو أكبر الفصوص

ث- **امتلاك البشر لأكبر قشرة مخ مقارنة ببقية الحيوانات خصوصاً قشرة الفص الجبهي**: يختلف دماغ الإنسان عن دماغ الحيوان من الناحية الشكلية، حيث تتسع مساحة قشرة المخ، وخاصة قشرة الفص الجبهي كما يزداد حجمه. أما لدى معظم الحيوانات فيتكون الفص الجبهي إلى حد كبير من قشرة الشم والتي لا تعدو لدى الإنسان أن تمثل جزءاً صغيراً بالمقارنة مع الأجزاء الكبرى من قشرة الفص الجبهي.

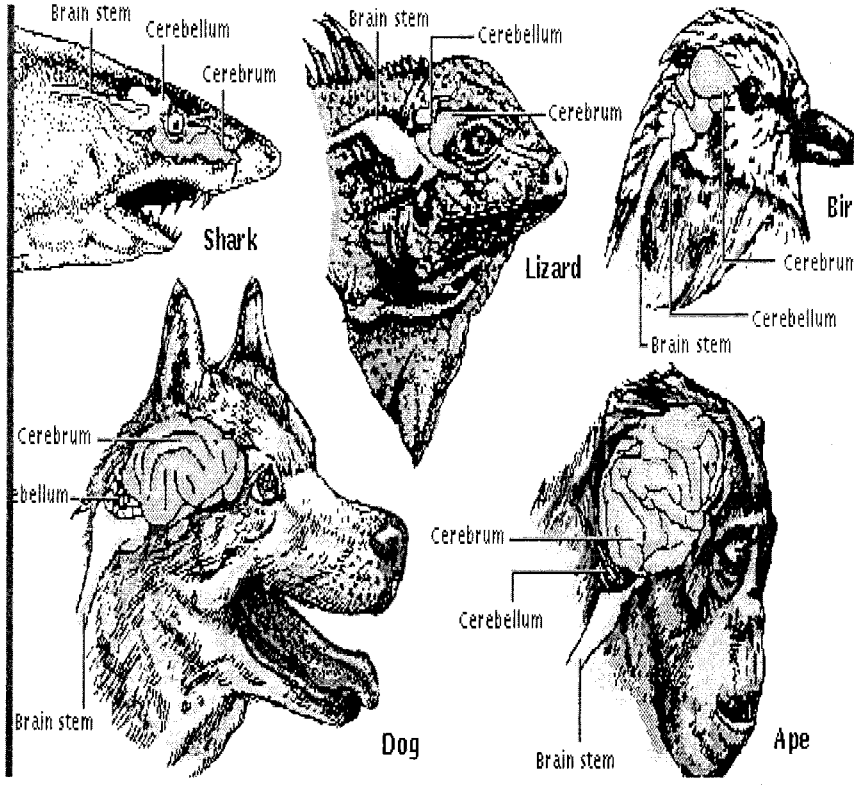

شكل يوضح حالات مختلفة لأدمغة الحيوانات كالأسماك والزواحف والطيور وأكثر اللبائن تطوراً بعد الإنسان –الكلاب والقرود–

أما بالنسبة لقشرة الدماغ الحوفية التي تتحكم في الوظائف الغريزية فهي في الحيوان أكبر منها في الإنسان، كما أن هناك ميزة شكلية أخرى هامة تتعلق بحجم قشرة

الدماغ الحوفية والتي تتحكم بالوظائف الحركية الغريزية أو الانعكاسية مقارنة بقشرة المخ الحديثة، وهذا يقدم لنا الدليل على أن التحكم في الوظائف الحركية لدى الحيوان يكون إما انعكاسياً أو موجهاً بالغرائز، أما في الإنسان فتخضع وظائفه الحركية وتصرفاته للوعي والإدراك الموجه من قبل مساحة قشرة المخ الشاسعة.

ج- **الفص الجبهي مسؤول عن الألفاظ المنطوقة:** إن التحكم في اختيار وتكوين الكلمات استعداداً للنطق بها تتم في عدة مناطق منها منطقة فيرنيكي ومنطقة بروكا وكذلك منطقة التلفيف الزاوي. إذ تختار الألفاظ في منطقة التلفيف الزاوي، ثم تكون الألفاظ أو الكلمات المنطوقة في منطقة بروكا (Broca's area) في الفص الجبهي، الواقعة أمام الجزء الأسفل من القشرة الحركية (Primary Motor Cortex)، التي تتحكم في الأعضاء المتعلقة بالنطق، وهذا يدل على أن مفتاح التحكم في الكلمات المنطوقة هو في الفص الجبهي للمخ، أي في الناصية، لذلك فليس كل الألفاظ التي ترد إلى الذهن تظهر على اللسان وذلك لمرورها على مركز تكوين الكلمات في الناصية، لذا فإن الإنسان محاسب ومسؤول عما ينطق به لسانه طالما يستطيع التحكم في اختيار الألفاظ وأعضاء النطق وعلى رأسها اللسان، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا بقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ ﴾، (البلد)، كما وأشار رسول الله ﷺ إلى هذا المعنى بقوله (..**فأخذ بلسانه قال كف عليك هذا**..) الحديث. والشكل أدناه يوضح المناطق التي تمت الإشارة إليها وهي مناطق التحكم بالنطق والألفاظ الموجودة في القشرة الحركية من الدماغ.

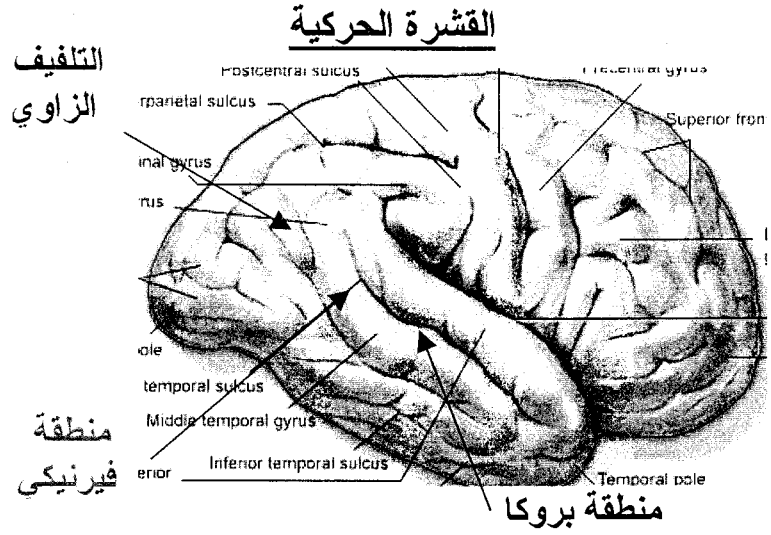

شكل يوضح مناطق اختيار وتكوين الكلمات استعداداً للنطق بها

ح- **التوجيه الإرادي للنظر باتجاه محدد يقع في الفص الجبهي:** يوجد في الفص الجبهي أيضاً ما يماثل منطقة بروكا من تلفيف القشرة الحركية وهي منطقة تختص بتحريك العينين ومنطقة فوقها تختص بتحريك الرأس في حركة دائرية، وكلتا المنطقتين توجه وتركز النظر في اتجاه معين وفق حركة إرادية، وهاتين المنطقتين توجهان قشرة الحركة الأولية(Primary Motor Cortex) لإدارة الرأس وتركيز العينين في اتجاه محدد. إذن فالتوجيه الإرادي للنظر يقع في الفص الجبهي أو الناصية، وهذا يتوافق مع ما أشار إليه رسول الله ﷺ في حديث المؤاخذة على النظر المحرم للمرأة الذي أخرجه الترمذي (ج٥/١٠١) وهو حديث حسن غريب، حين قال ﷺ لسيدنا علي رضي الله عنه :(**يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإنما لك الأولى وليست لك الآخرة**). وفي رواية حديث الطحاوي في شرح معاني الآثار (ج٣/١٥) وهو حديث حسن قال (**النظرة الأولى لك والآخرة عليك**). فالأولى فجائية لم يكن فيها قرار من الدماغ، بينما الثانية جاءت عن قصد وقرار إرادي من الدماغ وإنما تقع المؤاخذة على هذه النظرة لوقوع الإرادة فيها... والشكل أدناه يوضح هذه التفاصيل.

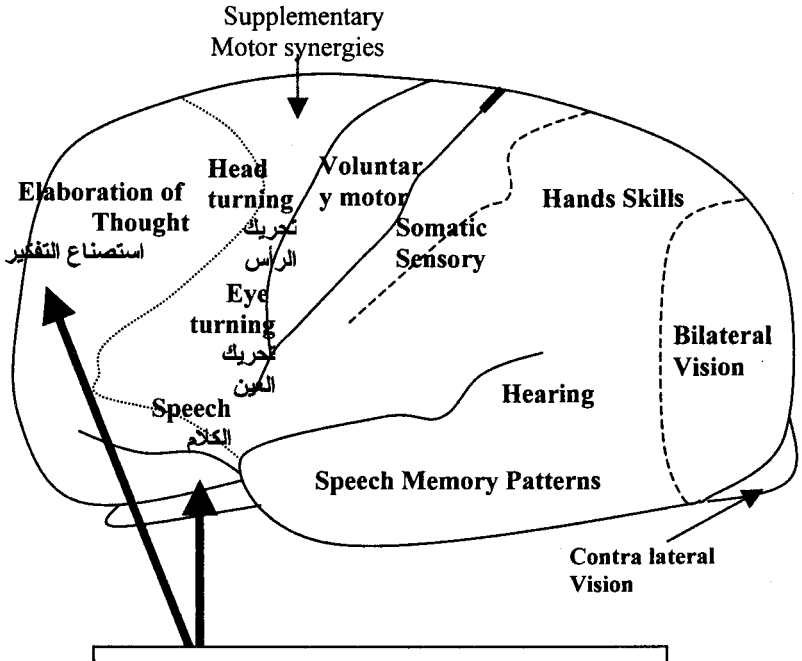

الفص الجبهي أو الناصية هي المسؤولة عن السلوك الإنساني أي الأفعال والأقوال:
سبق قرآني

خ- **التحكم الإرادي لحركة جميع أجزاء الجسد يقع في الفص الجبهي:** أثبتت البحوث الحديثة أن المنطقة الحركية الإضافية والمنطقة قبل الحركية، تعملان باعتبارهما منشئتان للوظيفة الحركية وتخزنان برامج الحركة التي تعتبر جزءاً من التخطيط الخاص، بتحكم مجموعة معينة من العضلات على القيام بحركة طوعية، لذلك فإنه يمكن الاستنتاج أنه كما هو الحال فيما يتعلق بالنطق واختيار الألفاظ وتحريك الرأس والعينين، فإن قشرة الفص الجبهي أو الناصية هي المختصة بالتحكم الواعي للقيام بعمل طوعي أو عدم القيام به، مما يتطلب تحريك بعض أو كل أجزاء الجسد.

د- **التناسق بين حركة النطق وحركات الجسم المختلفة يقع في الفص الجبهي:** إن احتواء الفص الجبهي للمنطقة الحركية الإضافية والمنطقة الحركية الأولية تشير إلى التناظر بين منطقة بروكا المسؤولة عن السيطرة على النطق وكما أسلفنا ومناطق تحريك الرأس والعينين، وبين المنطقة ما قبل الحركية، المتعلقة بالسيطرة على

الوظائف الحركية الأخرى والتي تؤدي إلى التصرفات الطوعية لسائر أعضاء الجسد مما يؤكد التناسق بين حركة النطق والنظر وحركات الجسم المختلفة يقع في الفص الجبهي للدماغ أو الناصية.

ذ- **السلوك والتصرف من مسؤوليات الفص الجبهي:** ولتأكيد هذا الاستنتاج نجد أن عدم وجود معظم قشرة الفص الجبهي في الحيوانات يظهر أثره في السلوك الحيواني، فحاسة الشم تثير السلوك الجنسي مباشرة وكذلك السلوك الغذائي والنشاط الحركي المتعلق بالوظائف. أما بالنسبة للإنسان فلا بد من اعتبارات ومعلومات تم تخزينها وترسيخها مسبقاً في وظائف قشرة الدماغ خاصة مناطق الربط، بالإضافة إلى الوظائف الغرائزية، قبل أن يقع السلوك الجنسي أو الغذائي أو أي سلوك آخر، مع ما يتبع من أعمال حركية أخرى بالأيدي أو الأرجل أو أي أجزاء أخرى من الجسم كحركة العين للرؤيا، وحركة اللسان للنطق. وهكذا يكون الخيار بالقيام بعمل أو عدم القيام به مركزاً في مناطق الحركة الإرادية في الفص الجبهي ذو المساحة الشاسعة من قشرة الدماغ خاصة في مناطق الربط فيه.

معلوم أن للإنسان سلوك غريزي وسلوك مكتسب، ويمكن من باب التشبيه العصري أن نصف السلوك الغريزي بأنه كالبرامج الداخلية التكوين للحاسوب التي تحركها منبهات محددة، بينما السلوك المكتسب يمكن وصفه بأنه كالبرامج الخارجية للحاسوب. فالسلوك الغريزي عند الحيوانات مثلاً يثار بالحواس كما هو الحال في حاسة الشم التي تثير السلوك الجنسي أو الغذائي كما أسلفنا، وسبب ذلك يعود لكبر قشرة الدماغ الحوفية مقارنة بقشرة المخ الحديث، وهذا يثبت لنا أن التحكم في الوظائف الحركية لأعضاء جسم الحيوان يكون انعكاسياً أو موجهاً بالغرائز إلى حد كبير. وقد أثبتت بحوث كثيرة دقة هذا التوجه، كما وأثبت عدة باحثين أن المعلومات الغريزية هي العامل الموجه الرئيسي لسلوك الحيوانات.

أما السلوك المكتسب فهو السلوك الذي توجهه معلومات مكتسبة من البيئة، وهذا النوع عند الإنسان هو الأكثر لأن مناطق الربط في قشرة المخ البشري لها سيطرة واضحة ودور بارز في توظيف المعلومات الحسية وبالتالي في إمكانيات التعلم الهائلة لدى البشر. فهناك كم هائل من المعلومات المبرمجة والتي يتم اكتسابها إما من خلال الخبرات

العشوائية المستمدة من البيئة، أو من خلال عملية التربية والبرامج الدراسية. وتعتبر مناطق الربط الجدارية– الصدغية – القذالية والتي توجد غالباً في نصف المخ السائد هي المختصة بعملية تعلم اللغات عبر حواس السمع والبصر، ثم تنتقل هذه المعلومات المكتسبة من الألفاظ وسائر العلاقات المرئية من خلال التلفيف الزاوي والحزمة المقوسة التي تقع تحته إلى منطقو بروكا في الفص الجبهي، والتي تقوم بتكوين الكلمات المنطوقة، كما وتنتقل الاستجابة النطقية عن طريق الحزم المقوسة من منطقة فيرنيكي الواقعة في أعلى التلفيف الصدغي والمسؤولة عن فهم المعلومات السمعية والمرئية إلى منطقة بروكا أيضاً الواقعة أمام الجزء الأسفل من القشرة الحركية، والتي تتحكم في الأعضاء المتعلقة بالنطق – كما أشرنا آنفاً – . وهكذا ترون أيها الأخوة الأكارم أن جميع المعلومات المكتسبة والمفهومة بالتعلم بواسطة الحواس كالسمع والبصر والشم والتحسس بالجلد إلى مركز التحكم النهائي في الفص الجبهي لاستخدامها بالنطق في الألفاظ المناسبة. وعلى هذا الأساس فالسلوك الإنساني ليس كالسلوك الحيواني توجهه الغرائز فقط، وإنما تسيطر عليه وتوجهه المعلومات المكتسبة من البيئة والمحيط، لذلك فالسلوك الإنساني قابل للتطوير والتغيير، ويمتلك الإنسان المقدرة على إحداث هذا التغيير في سلوكه بناء على خصوصيته في اختيار معلوماته واكتساب خبراته، فإن هو اختار بيئة فيها كلام حسن وعمل طيب وتصرف موزون سيكون كل ذلك معكوساً في تصرفاته وسلوكه واختياراته، وإن هو اختار العكس فستكون تصرفاته وفقاً لما اختاره هو من مجتمع وبيئة.

كل هذه الحقائق العلمية التي توصل إليها علماؤنا اليوم بالمراقبة والفحص ثبتها القرآن الكريم والسنة المطهرة في آيات وأحاديث أكثر من أن تحصى، لنستمع:

١. في مسألة أن الأشياء المسموعة والمبصرة والمدركة بالعقل تصب كلها في محل التحكم واتخاذ القرار عند البشر وبالتالي تنبني عليه مسؤولية الفعل، وهو معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾، (الإسراء: ٣٦) .

٢. في مسألة أن للإنسان المقدرة على التحكم في تغيير نفسه: ﴿ ...إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا

بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ... ﴾، (الرعد: من الآية١١) .

٣. على الإنسان أن يختار البيئة الصالحة والصحبة الصالحة كي يكون إنساناً صالحاً: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ ﴾،(الفرقان). ويقول رسول الله ﷺ في الحديث الذي يرويه الترمذي في الزهد (رقم٢٣٠٧) عَنْ أَنَسٍ أَنَّهُ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺفَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى قِيَامُ السَّاعَةِ فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺإِلَى الصَّلاَةِ فَلَمَّا قَضَى صَلاَتَهُ قَالَ **أَيْنَ السَّائِلُ عَنْ قِيَامِ السَّاعَةِ** فَقَالَ الرَّجُلُ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ **مَا أَعْدَدْتَ لَهَا** قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَعْدَدْتُ لَهَا كَبِيرَ صَلاَةٍ وَلاَ صَوْمٍ إِلاَّ أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ**الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ وَأَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ** فَمَا رَأَيْتُ فَرِحَ الْمُسْلِمُونَ بَعْدَ الإِسْلاَمِ فَرَحَهُمْ بِهَذَا)، قَالَ أَبو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ .. وفي سنن أبي داود في الأدب (رقم٤٤٦٢) عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ رَأَيْتُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺفَرِحُوا بِشَيْءٍ لَمْ أَرَهُمْ فَرِحُوا بِشَيْءٍ أَشَدَّ مِنْهُ قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ الرَّجُلُ يُحِبُّ الرَّجُلَ عَلَى الْعَمَلِ مِنَ الْخَيْرِ يَعْمَلُ بِهِ وَلاَ يَعْمَلُ بِمِثْلِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ(**الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**).

٤. كما أن القرآن الكريم قد ثبت حقيقة أن الفص الجبهي أو الناصية يتدخل في سلوك الإنسان المكتسب من البيئة والمحيط من تعلم وفهم باستخدام الحواس، فإنه ثبت حقائق مهمة أخرى مفادها أن الإنسان عليه أن لا يذعن للسلوك الغريزي إلا في الحلال، ويجعل عقله وإرادته مسيطراً على هواه: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾، (النازعات)... ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ ، (الشمس).

وقد تمت دراسة قشرة الدماغ وخصوصاً القشرة الحركية في الفص الجبهي في أثناء عمليات التفكير والنطق واستماع الموسيقى وباستخدام تقنيات متطورة كما توضح الأشكال أعلاه.

كل هذه التفاصيل لم تعرف إلا في النصف الثاني من القرن العشرين، والقرآن الكريم ذكره قبل أكثر من أربعة عشر قرناً، أليس هذا دليلاً ناصعاً على أنّ هذا القرآن هو كلام الله العالم بمكونات خلقه والذي أنزله على رسوله الكريم ﷺ؟!..

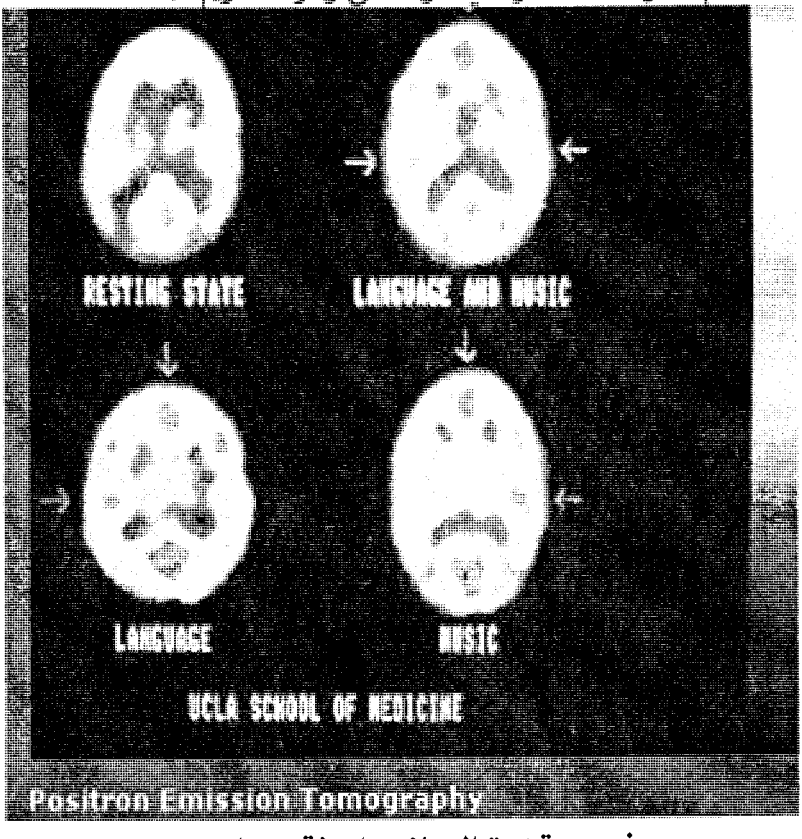

فحص قشرة الدماغ بواسطة جهاز :

(Positron Emission Tomography-PET-) لحالات

الارتخاء – أعلى اليسار– وبعض حالات الانفعالات العاطفية كسماع

الموسيقى، ويتبين من الشكل توزيع الدم (اللون الأحمر) على

الخلايا الدماغ للحالات المختلفة.

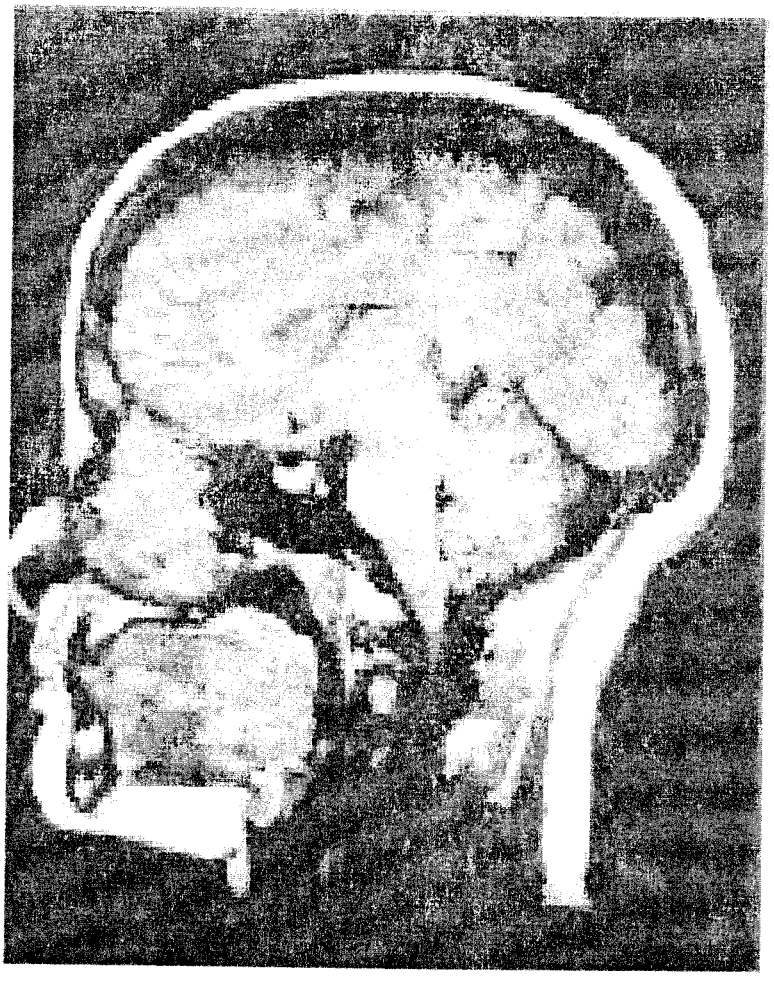

شكل لصورة بالرنين المغناطيسي MRI لدماغ الإنسان طبع عليها صورة أخرى بالنظائر المشعة توضح تدفق الدم إلى أجزاء محددة من قشرة المخ في المقدمة والمؤخرة والوسط عند قراءة الكلمات والنطق والتفكير

ستكون لنا تفاصيل أوسع في موضوع المخ وفروق الدماغ بين الرجل والمرأة في كتاب الاجتماع من هذه السلسلة.

٣- الإحساس:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ ، (النساء: ٥٦).

هذه الآية تخبرنا أن الكفار حين يعذبون في النار فإن جلدهم يستبدل كلما احترق والسبب في ذلك أن الجلد يحوي منطقة المستلمات الحسية (Thermo Receptors & Nociceptors) بالإضافة إلى الأعصاب الأخرى المسؤولة عن الإحساس بالألم (خاصة الحرارة) وتقل كثيراً في طبقات تحت الجلد كالعضلات والألياف. وكما هو معروف طبياً في حالة الحروق العميقة (٣ rd Degree Burn) التي يفقد فيها الجلد الإحساس بالألم على العكس في حالة الحروق السطحية (١st Degree Burn) التي تكون مؤلمة جداً لأن المراكز الحسية موجودة في الطبقة السطحية للجلد (Epidermis). ولذلك فإن استبدال الجلد التالف بآخر سليم يؤدي إلى إعادة مراكز الألم والإحساس فيها فتزيد من شدة العذاب في جهنم.

يقول الله تعالى: ﴿ ...وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ ...﴾ ، (محمد: من الآية ١٥). لم يقل الله ﷻ (فبدلناهم أمعاءً غيرها) كما قال في شأن الجلد ﴿ ...كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا... ﴾، (النساء: من الآية٥٦). فإذا شرب ماءاً حاراً فإنه لم يتألم لوجود الطبقة المخاطية في المعدة والأمعاء، فإذا أزيلت هذه الطبقة ودمرت ووصلت المواد المخدشة والماء الحار إلى الأجزاء الحساسة في التجويف البريتورني (Peritoneal Cavity) أحس الإنسان بآلام شديدة كما في حالة القرحة (Ulcer) ولهذا لا يبدل الله أمعاءهم زيادة في تعذيبهم والتنكيل بهم. فهل كان رسول الله ﷺ أستاذاً في التشريح، بل هو الحق من الله وصدق الله ورسوله.

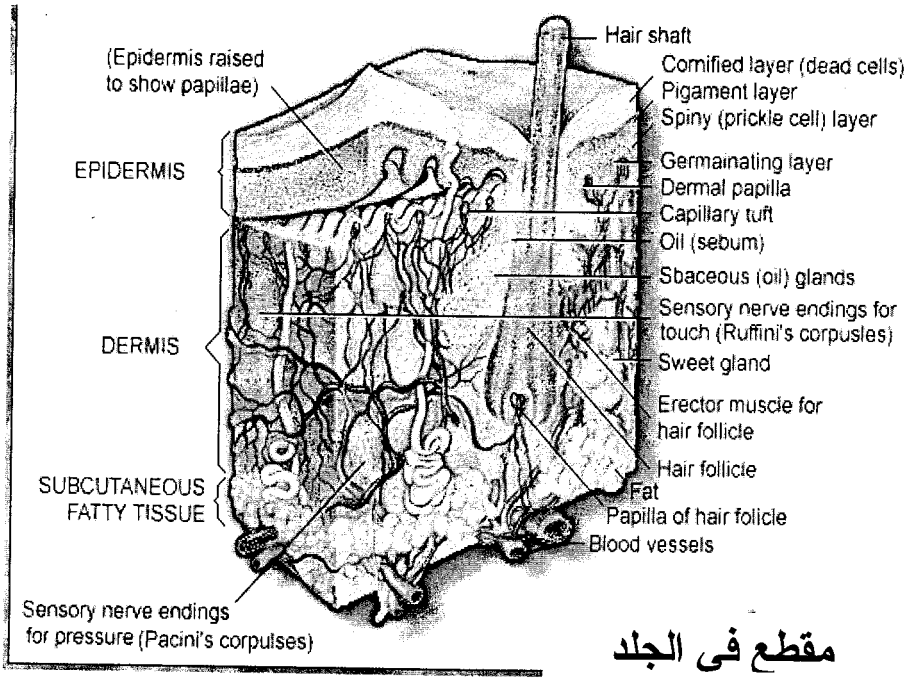

مقطع فى الجلد

٤- الحواس:

ذكر القرآن الكريم كل حواس الإنسان في عدة آيات، بل وأنه قدم السمع على البصر، والتسلسل في القرآن يفيد الترتيب وتقديم الأمور حسب قدمها، وقد أثبت حديثاً أن الإنسان بعد الولادة يسمع قبل أن يرى، بل وأنه يسمع وهو في بطن أمه.

كما وذكر حاسة الذوق والشم واللمس في مواضع عدة من القرآن والسنة المطهرة: ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ ﴾، البلد.. وقد تقدم من أمر السبق القرآني في السمع والبصر في كتب سابقة من هذه السلسلة —راجع كتاب الطب وكتاب الصيدلة— .

إن تدبراً بسيطاً في آيات الله في موضوع الدماغ والحواس ليجعلك أخي الكريم حائراً أمام وصف عظمة الخالق، شاكراً له نعمائه التي لا تحصى.

الفصل الثاني

علم النفس والسلوك

١- النضج العقلي والذهني:

يقول الله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾، (الأحقاف: ١٥). بلغ أشده: قال ابن كثير في تفسيره أي تناهى عقله وكمل فهمه وحلمه. قال العلماء ولذلك لم يبعث نبي قبل الأربعين.

((Psychological test shows that the overall quantity of stored knowledge in a person's mind generally increased during the first ٣٩ years of his life, reaching a peak at this time. Beyond that age the total amount of stored knowledge gradually declines. (Guyton, p. ٣٠٧))).

إن الاختبارات السايكولوجية بينت أن المعرفة المخزونة في ذاكرة الإنسان تزداد عموماً في الـ ٣٩ سنة الأولى من حياته، وتصل أعلى مستوى لها في هذه الفترة، وفيما بعد ذلك العمر تقل كمية الكلية من المعرفة المخزونة تدريجياً، ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾، (النساء: ٨٢).

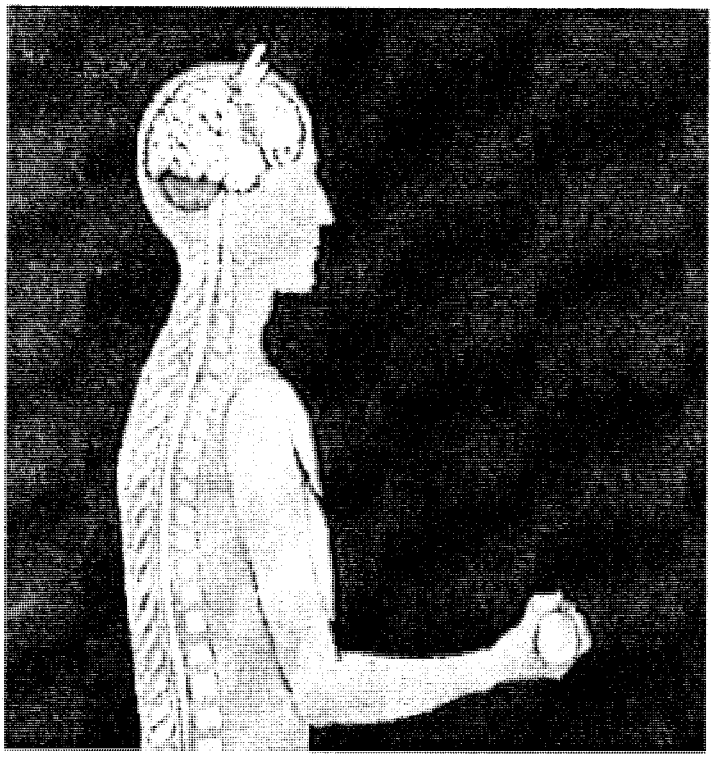

الدماغ البشري والإيعازات المسيطرة على السلوك

٢- المعالجة النفسية القرآنية للفرح والحزن:

عالج القرآن الكريم النفس البشرية أيما علاج عجز عن مجاراته كل علماء النفس الذين هم بشر أصلاً، وكان أهم هدف لنزوله هو الإنسان ظاهراً وباطناً، فكان ولازال وسيبقى بحق العلاج النفسي الأول للبشر إذا ما اتبعوه، وسنقتطف زهرة واحدة من زهور هذه المروج الكبيرة التي لا نهاية لها.

يقول الله تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾، (الحديد).. يقول الدكتور دلاور محمد صابر:

يعالج القرآن الكريم مرضاً في النفوس قد يحول دون الجهاد والبذل في سبيل الله، وأن ما قدر لا بد أن يكون، وإذا انفق المسلم عن سعة واثقا أن في السماء رزقه، وأن

الجود لا يفقر وأن الإقدام لا يقتل إذ الأمر كله لله. فما أصاب من مصيبة في الأرض أياً كان نوعها إلا كانت في كتاب من قبل أن يخلقها الله تعالى وتظهر للعيان، فالدنيا رواية تظهر على الخيالة. فالمؤمن عند المصيبة يصبر ومع الغنيمة يشكر، والفرح والحزن المنهي عنهما في الآية هما اللذان يتعدى فيهما إلى الحد الذي يؤدي إلى عكس المطلوب من التصرف والسلوك البشري. فالحزن والفرح هما عاملان نفسيان عاطفيان (Emotional Factors) تؤثران تأثيرات مختلفة على الإنسان. وقد أثبتت الأبحاث الطبية الحديثة بأن للفرح والحزن تأثيرات سلبية على قلب الإنسان، لذا يوصي الأطباء بعدم إخبار الأنباء السارة والمحزنة إلى المصابين بأمراض القلب.. كما وأشارت البحوث الطبية إلى أن العوامل النفسية كالفرح والحزن قد تسبب أحياناً استهلاك كمية كبيرة من الأغذية دون وعي مما يؤدي إلى السمنة والتي لها مضاعفات كثيرة ومنها المضاعفات الحركية التي تؤدي إلى التهاب المفاصل في عظام الركبة والعمود الفقري، وكذلك العضلات تضعف في منطقة البطن وهي التي تساند الأحشاء وعضلات الرجل ويقل انقباضها مما يؤدي إلى تكون فتوق البطن وتتمدد الشرايين ويتأثر التنفس بفعل زيادة الدهن تحت الحجاب الحاجز وحول الصدر.

ومنها أيضاً مضاعفات الدورة الدموية أي زيادة عمل القلب بسبب الوزن الزائد وزيادة الحمل عليه مما يؤدي إلى زيادة نسبة الإصابة بتصلب الشرايين والذبحة الصدرية. ثم مضاعفات التمثيل الغذائي الذي يختل نتيجة السمنة المفرطة مما يؤدي إلى مرض السكر وارتفاع نسبة الكولسترول في بلازما الدم والذي يؤدي بدوره إلى الجلطة وتكوين تجمعات عضوية كولسترولية، فحصوة المرارة تختلف عن حصوة الكلى الكلسية في حويصلة الصفراء.

وأخيراً المضاعفات النفسية للسمنة التي تبعد الإنسان عن مظهر الأناقة والرشاقة وتكون حركته أبطأ واستجاباته الذهنية أقل نشاطاً أيضاً. وفي هذا كله يختصر لنا الله تعالى بقوله سبحانه: ﴿ ...وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ ، (الأعراف: من الآية٣١)، وقال رسول الله ﷺ: ((**ما ملأ ابن آدم وعاء شر من بطنه حسب المسلم أكلات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث**

لنفسه))[1].. وقد ذكرنا هذا الموضوع في مبحث الاستشفاء بالصلاة في كتاب سابق من هذه السلسلة.

٣- الغضب والعلاج الإسلامي:

الغضب أحد الانفعالات الرئيسية التي زود الله سبحانه وتعالى بها الإنسان من أجل أن يحافظ على كيانه النفسي.. ويعرف الغضب بأنه انفعال غير سار ينتاب الإنسان، وينشأ عن فسيولوجية داخلية ومظاهر جسمانية خارجية تعبر عن درجة هذا الانفعال، ويؤثر الغضب على الجسم سلباً أو إيجاباً وذلك حسب نوعه ودرجة حدته. ويمكن تقسيمه إلى نوعين رئيسيين:

١. غضب معتدل وصحي، وهو الغضب الذي لا يذهب بصواب الإنسان بل يخضع لسيطرته فلا يتمادى فيعتدي، وهذا النوع من الغضب رفيق الإنسان في حياته ففيه الحماية للدين والوطن والعرض والحقوق.
٢. الغضب الجامح، وفيه يتحول الغضب كانفعال من اعتداله الصحي الحميد إلى تطرف مرضي خطير وخبيث وشحنة ناسفة وطاقة هائلة توجه إلى التحطيم والتخريب. وهذا النوع من الغضب يتغلب على الإنسان، فيفقد صوابه وعقله وبصيرته.

وعند الغضب تعتري الجسم أعراض وعلامات تتلخص في شحوب واصفرار لون الوجه والأطراف واتساع حدقة العين وانتصاب شعر الرأس، وتصبب العرق الغزير، وتسارع دقات القلب، وازدياد ضغط الدم. وتعزى ظهور هذه الأعراض إلى تأثير هرمون مهم يسمى (الأدرينالين) أو ما يمكن أن نطلق عليه مجازاً بـهرمون الغضب، وهو يفرز من قبل الغدة الكظرية.

أما الأمراض التي يمكن أن يسببها الغضب الجامح أي النوع الثاني من الغضب فهي كثيرة وخطيرة نجملها بما يلي:

١. أمراض القلب وجهاز الدوران، ومنها:

---

(١) العلم والإعجاز، د.دلاور محمد صابر، ص٢٦-٢٩، بتصرف. والحديث أخرجه النسائي وابن ماجة والترمذي والحاكم، السنن الكبرى، ١٧٨/٤، رقم (٦٧٧٠)، سنن ابن ماجة، ١١١١/٢، برقم (٣٣٤٩)، سنن الترمذي، ٥٩٠/٤، رقم (٢٣٨٠)، والمستدرك، ٣٦٧/٤، رقم (٧٩٤٥).

- الذبحات الصدرية المتكررة نتيجة زيادة سرعة ضربات القلب وزيادة حاجة عضلة القلب إلى أوكسجين، وعند تكرار هذه الذبحات فإنها تؤدي إلى حدوث جلطات القلب القاتلة في كثير من الأحيان.
- زيادة ترسب الدهون والكوليستيرول على الجدار الداخلي للشرايين وبالتالي الإصابة بتصلب الشرايين وجلطات القلب والمخ.

٢. أمراض الجهاز الهضمي، ومنها:

- قرحة المعدة والاثني عشري، إذ يؤدي الغضب الجامح إلى زيادة إفراز حامض الهيدروكلوريك في المعدة وبالتالي تخرش جدران المعدة وخروج الدم تبعاً لذلك فتشكل مكاناً متقرحاً بشكل مزمن، والذي يعني ببساطة الإصابة بمرض القرحة .
- القولون العصبي والإمساك المزمن، ويرجع إلى تقلص المستقيم والأمعاء بسبب الغضب المستمر.

٣. أمراض أخرى عامة، ومنها:

- مرض السكر أو السكري.
- أمراض نفسية كالتوتر والقلق والأرق والأحلام المزعجة.
- فقدان الشهية ونقص الوزن والهزال عند الكثيرين.

لنتدبر كيف عالج الإسلام هذا الداء النفسي الخطير، فقد سبق الإسلام العلم الحديث في تقسيمه للغضب على هذا المنوال الذي ذكرنا. فقد ذكر لنا أهل السنن أن النبي ﷺ حذر من الغضب الجامح أيما تحذير، بينما كان عليه الصلاة والسلام يغضب لدين الله غضباً معتدلاً ولا يغضب لنفسه الغضب الجامح. فقد روى الإمام البخاري في صحيحه (الإيمان ١٩) عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَمَرَهُمْ أَمَرَهُمْ مِنَ الأَعْمَالِ بِمَا يُطِيقُونَ قَالُوا إِنَّا لَسْنَا كَهَيْئَتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ فَيَغْضَبُ حَتَّى يُعْرَفَ الْغَضَبُ فِي وَجْهِهِ ثُمَّ يَقُولُ (**إِنَّ أَتْقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللَّهِ أَنَا**).. كما روى البخاري (كتاب تفسير القرآن) عن سيدنا ابْنُ عَبَّاسٍ عن قوله تعالى ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ قال الصَّبْرُ عِنْدَ الْغَضَبِ وَالْعَفْوُ عِنْدَ الإِسَاءَةِ فَإِذَا فَعَلُوهُ عَصَمَهُمُ اللَّهُ وَخَضَعَ لَهُمْ عَدُوُّهُمْ ﴿ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾.. كما وأفرد البخاري في كتاب الأدب بَاب مَا

يَجُوزُ مِنَ الْغَضَبِ وَالشِّدَّةِ لأَمْرِ اللَّهِ وَقَالَ اللَّهُ تعالى: ﴿ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ .. وكذلك أفرد باباً آخر في كتاب الأدب أيضاً هو بَاب الْحَذَرِ مِنَ الْغَضَبِ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ وَقَوْلِهِ ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ ..

وفي الأيمان والنذور أفرد باباً آخر للغضب هو بَاب الْيَمِينِ فِيمَا لاَ يَمْلِكُ وَفِي الْمَعْصِيَةِ وَفِي الْغَضَبِ.. وآخر في الديات بَاب إِذَا لَطَمَ الْمُسْلِمُ يَهُودِيًّا عِنْدَ الْغَضَبِ رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.. فقد أخرج البخاري في كتاب الأدب (٥٦٤٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ (**لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ**)..

وفي المناقب ذكر البخاري حديثاً (٣٤٥٠) عن عَلِيُّ بْنُ حُسَيْنٍ أَنَّ الْمِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ قَالَ إِنَّ عَلِيًّا خَطَبَ بِنْتَ أَبِي جَهْلٍ فَسَمِعَتْ بِذَلِكَ فَاطِمَةُ رضي الله عنها فَأَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ يَزْعُمُ قَوْمُكَ أَنَّكَ لاَ تَغْضَبُ لِبَنَاتِكَ وَهَذَا عَلِيٌّ نَاكِحٌ بِنْتَ أَبِي جَهْلٍ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَسَمِعْتُهُ حِينَ تَشَهَّدَ يَقُولُ (**أَمَّا بَعْدُ أَنْكَحْتُ أَبَا الْعَاصِ بْنَ الرَّبِيعِ فَحَدَّثَنِي وَصَدَقَنِي وَإِنَّ فَاطِمَةَ بَضْعَةٌ مِنِّي وَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَسُوءَهَا وَاللَّهِ لاَ تَجْتَمِعُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبِنْتُ عَدُوِّ اللَّهِ عِنْدَ رَجُلٍ وَاحِدٍ**)، فَتَرَكَ عَلِيٌّ رضي الله عنه الْخِطْبَةَ .. وفي كتاب الأدب في صحيح البخاري (٥٦٥١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَوْصِنِي، قَالَ (**لاَ تَغْضَبْ**)، فَرَدَّدَ مِرَارًا قَالَ (**لاَ تَغْضَبْ**) (*).. ومن الوصايا النبوية في حال الغضب:

١. أن الرجل إذا تملكه الغضب وهو واقف فليجلس على الأرض، وإذا كان منبطحاً فلينهض. وهنا إشارة علمية نبوية غاية في الدقة، إذ أن الدم إذا تحرك في حال تغيير وضع الجسم سيؤدي إلى تنشيط الدورة الدموية وبالتالي إلى تخفيف الغضب.

(*) موسوعة الإعجاز العلمي في الحديث النبوي الشريف، عبد الرحيم مارديني، ص ٢٠٥-٢٠٨، بتصرف.

٢. اللجوء إلى الوضوء والصلاة لأنهما من أحسن العلاجات التي تزيل الغضب.

وقد ذكر لنا الصحابة وأهل العلم أن الغضب المعتدل مطلوب حتى قال بعضهم (من استغضب ولم يغضب فهو حمار)، وشبه بالحمار لبلادته وعدم اكتراثه، والمقصود هنا الغضب المسيطر عليه.

وهكذا يتبين لك أخي الكريم أن الإسلام يضع الموازين لكل شيء، فلا ضرر ولا ضرار كما تقول القاعدة الفقهية، وإذا بالعلم الحديث يذعن لصدق القرآن وأحاديث المصطفى ﷺ.

٤- علاج القرآن الكريم لتدهور العلاقة الزوجية:

أسس الشرع الحنيف أسساً رائعة للأسرة فجعلها اللبنة الرئيسية لتكوين المجتمع الذي يرمي لإنشائه. وما أكثر الآيات والأحاديث الشريفة التي تؤسس هذه الحقيقة، فقد جعل الله تعالى وكما ذكرنا ونذكر دائماً الميثاق الغليظ الذي أخذ على أولي العزم من المرسلين عليهم السلام صنواً للعلاقة الزوجية بين الزوجين، فما أروع تلك العلاقة وما أكبرها عند الله تعالى..

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾، (الروم).

لنتدبر النعم التي ذكرت في هذه الآيات المباركات:

١- نعمة خلق الناس وتكوينهم.

٢- نعمة سنة الزواج للتكاثر والحفاظ على الجنس مع ما فيها من متعة ولذة ارتضاها الله لعباده.

٣- نعمة جعل المودة والرحمة بين الزوجين.

٤- نعمة خلق السماوات.

٥- نعمة خلق الأرض.

٦- نعمة اختلاف الألوان والأشكال والأذواق واللغات واللهجات لتسيير شؤون العباد.

٧- نعمة النوم في الليل.

٨- نعمة السعي لكسب الرزق في النهار.

٩- نعمة البرق وما فيها من فوائد ذكرناها في كتاب النبات فضلاً عن تأثيراتها النفسية والعقلية التي ذكرت في كتاب المادة والطاقة وكتاب الفلك.

١٠- نعمة إنزال المطر لمصالح البشر والحيوان والنبات والتي تصب أيضاً في مصلحة البشر.

١١- نعمة التحكم بقوانين الكون وسماواته الطباق التي فصلناها في كتاب الفلك لمصلحة البشر التي خلق الكون من أجلهم ولأنها معدة لتكوّن الجنان والنيران عندما يأتي أمر الله تعالى، والله أعلم. وجميع قوانين الكون تسير بنظام لا تحيد عنه أعده الله تعالى لها فلا تعصي الله تعالى ما أمرها.

ولعل المتدبر لما جاء في سورة الروم من تعداد لأهم آيات الله تعالى على خلقه يجد أن نعمة تكوين الأسرة جاء بعد نعمة الخلق والتكوين أي ضمن التسلسل الثاني من مجموع أحد عشرة نقطة عددتها الآيات في سياق الذكر للسورة، ومعروف في علوم القرآن أن السياق والسباق يعتبران دليل على أهمية الأمر ضمن تسلسله، وهذا دليل مضاف على أهمية هذه الرابطة، وكأنها محور الكون وأساس وجوده، فلا عجب أن يهتم الشارع بها أيما اهتمام.

ورغم أننا سنفصل في كتاب الاقتصاد والاجتماع الشيء الكثير عن الزواج وما يتعلق به، إلا أن الحديث هنا سيتركز حول مراعاة القرآن والسنة للحالات النفسية للزوجين، وكيفية إدارة ومعالجة النزاع إن حدث بينهما.

بدءاً وضع القرآن الكريم والسنة المطهرة قوانين تمنع حصول النزاع وهي قوانين الاختيار بين الزوجين، فقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾، (النحل: ٧٢).. قال بعض أهل التفسير رزق الطيبات في الآية يدخل فيه الرزق بالولد الصالح وهم البنين والحفدة المقصودون فيها وهو دليل على صلاح الزوجين، ويعضد ذلك تفسير ما كان في قصة موسى والخضر عليهما السلام مع اليتيمين وأبوهما الصالح في سورة الكهف، وكذلك قوله تعالى ﴿ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ ﴾، (الأعراف: ١٨٩).

وقوله تعالى ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾، (الإسراء: ٧٠).. قال بعض أهل العلم أن من التفضيل الرزق بالولد الصالح، ومنه أن من بعض ما فسرت به قوله تعالى ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾، (الأنعام: ٩٥).. ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾، (يونس: ٣١) .. ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ ﴾، (الروم: ١٩) .. أن إخراج الكافر والطالح (الميت) من صلب المؤمن والصالح (الحي) أو بالعكس هو من أمر الله تعالى وفضله على خلقه.

أما قوله تعالى ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ ﴾، (النور: ٢٦)، فهو قانون بين واضح جلي لكل ذي عقل وبصيرة أن الزوجين الصالحين هما فعلاً المقربون إلى الله تعالى وإلى الناس لما سينتجوه من عيال بررة صالحين، والعكس يصح أيضاً.

وفي أحاديث المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وآله وصحبه نجد الكثير من الأحاديث التي تشكل لنا القوانين المؤسسة للأسرة الصالحة:

أخرج ابن ماجة (النكاح ١٩٥٨) قال حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا الْحَارِثُ بْنُ عِمْرَانَ الْجَعْفَرِيُّ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ **(تَخَيَّرُوا لِنُطَفِكُمْ وَانْكِحُوا الْأَكْفَاءَ وَأَنْكِحُوا إِلَيْهِمْ)**.

وفي مسند الشهاب (ج: ١ / ص: ٣٧٠ / ٦٣٧) قال أخبرنا هبة الله بن إبراهيم الخولاني ثنا علي بن الحسين بن بندار ثنا أحمد بن عبيد الله يعني الدارمي ثنا عبد الله بن الحسين بن جابر مولى عقيل بن أبي طالب ثنا إسماعيل بن أبي أويس ثنا إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة يعني عن عمه موسى بن عقبة عن ابن شهاب الزهري عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ **(ثم قيدوا العلم بالكتاب أقل من الدَّين تكن حرا وأقل من الذنوب يهن عليك الموت وانظر في أي نصاب تضع ولدك فإن العرق دساس)**.. ونفس الحديث رواه الديلمي والبيهقي وغيرهم، كما ونجده في كتب (الفردوس بمأثور الخطاب)، و(عين المعبود)، و(فيض القدير)، و(كشف الخفاء)، و(العلل المتناهية)، وغيرها.

وفي الحديثين السابقين دليل مهم لكل من كان له عقل ولب أو ألقى السمع فهو شهيد حول مسألة التأني في اختيار الزوجة الصالحة لأنها كالأرض إن صلحت صلح النبت وهو الولد، والعكس صحيح. ولقد أثبتت التجارب الحديثة أهمية السبق النبوي في الحديثين اللآنفي الذكر وما يتعلق بهما من الآيات والأحاديث الأخرى التي ذكرناها ونذكرها لاحقاً.. فقد ثبت أن العرق دساس فعلاً، وبينت أن التجارب الحديثة التي نشرت مؤخراً فقط في العام ٢٠٠٤، أن الجينات قد تكون مسؤولة عن الخيانة الزوجية.. نعم أيها الأخوة، زعم بحث جديد أن الجينات قد تكون مسؤولة عن الخيانة الزوجية. وقال البروفيسور تيم سبيكتور من وحدة أبحاث التوائم بمستشفى سانت توماس بلندن إن لديه أدلة على وجود عنصر جيني في الخيانة. وتوصل البروفيسور، الذي ركز في دراسته على النساء، إلى أنه إذا كانت لدى إحدى التوأمتين تجارب مع الخيانة فإن فرص أن تضل الأخت الأخرى تصل إلى ٥٥٪.

وتشير تقديرات الدراسة بشكل عام إلى أن نحو ٢٣ بالمئة من النساء غير

مخلصات. كما أكد البروفيسور سبيكتور أن نزعة الإخلاص أو الخيانة هي الأقوى بين التوائم الذين يحملون جينات متطابقة. و أشار البروفيسور إلى أن الجينات وحدها لا تحدد ما إذا كان من المحتمل أن يصبح الشخص خائنا أم لا إذ تلعب العوامل الاجتماعية دورا أيضاً. غير أن البروفيسور سبيكتور لم يعلن صراحة عن وجود جين للخيانة، إذ قال "من غير المحتمل أن يكون هناك جين معين للخيانة. ولكن يمكن أن تكون هناك مجموعة من الجينات التي تساهم في الخيانة أي أن عدداً من الجينات يعمل سويا". وقال الدكتور بيترا بوينتون، أخصائي علم النفس الاجتماعي، إنه من الصعب جداً معرفة عناصر السلوك الموروثة والمكتسبة. وأضاف "إذ رأى الطفل أن أمه تخون أباه فمن السهل عليه أن يقلد نفس السلوك".

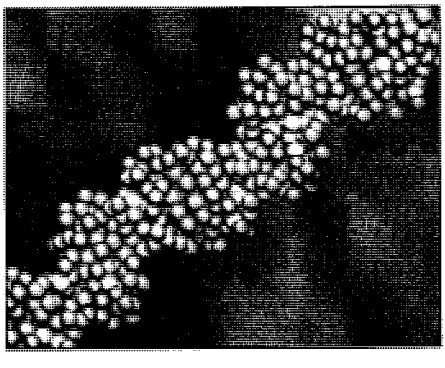

نموذج لسلسلة من الحمض النووي الريبوزي البشري (دي إن إيه) الذي تكلمنا عنه في كتاب الوراثة والاستنساخ

وأما أسلوب الاختيار الذي يأتي ضمن مرحلة التأني هذه فهو ما تبينه الأحاديث الشريفة أدناه:

١. لعل من أهم ما جاء في هذا ما علمنا إياه رسول الله ﷺ بما أخرجه الترمذي في سننه (النكاح ١٠٠٤) من طريقين: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (**إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ إِلاَّ تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ**)، قَالَ وَفِي الْبَاب عَنْ أَبِي حَاتِمٍ الْمُزَنِيِّ وَعَائِشَةَ قَالَ أَبو عِيسَى حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ قَدْ خُولِفَ عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ سُلَيْمَانَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ وَرَوَاهُ اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ

عَنِ ابْنِ عَجْلاَنَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مُرْسَلاً قَالَ أَبو عِيسَى قَالَ مُحَمَّدٌ وَحَدِيثُ اللَّيْثِ أَشْبَهُ وَلَمْ يَعُدَّ حَدِيثَ عَبْدِ الْحَمِيدِ مَحْفُوظًا ... و في نفس الباب (النكاح١٠٠٥) عَنْ أَبِي حَاتِمٍ الْمُزَنِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (**إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ إِلاَّ تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنْ كَانَ فِيهِ قَالَ إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ**). قَالَ أَبو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ وَأَبُو حَاتِمٍ الْمُزَنِيُّ لَهُ صُحْبَةٌ وَلاَ نَعْرِفُ لَهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ غَيْرَ هَذَا الْحَدِيثِ .. يقول بعض أهل الحديث إن من معنى الحديث التفرقة بين الدين والخلق، فالدين غير الخلق، الدين يقصد به هنا العبادات والعلاقة مع الله لأن الزوج إن أحب المرأة أكرمها وإن كرهها لم يظلمها. وأما الخُلُق فيقصد به أدب التعامل مع الخَلق، وهو ما يؤدي لحسن التعامل مع الزوجة، وهنا إشارة إلى تربية الزوج في بيته وأسرته والعادات التي اكتسبها منهم.

٢. في حديث أنواع النكاح للنساء الذي اتفق عليه أغلب أهل السنن (النسائي، الدارمي، أحمد، ابن ماجه)، يذكر لنا رسول الله ﷺ قانوناً مهماً لبقاء الحياة الزوجية وديمومتها وهو أن المرأة ذات الدين هي التي تحفظ لك ديمومة الأسرة والتربية الصالحة ولا يمنع ذلك أنها قد تكون جميلة أو ذات مال أو حسب. يقول ﷺ في الحديث الذي أخرجه النسائي (النكاح ٣١٧٨) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ (**تُنْكَحُ النِّسَاءُ لِأَرْبَعَةٍ لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَلِجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ**).. قال أهل الحديث أي ثبت زواجك كما يثبت التراب على اليد إن أصابته.. ويعضد ذلك قوله ﷺ في حديث كنز الحياة الدنيا وهو ما صح عن الإمام مسلم في صحيحه (الرضاع ٢٦٦٨) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ (**الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ**)، وفي سنن أبي داود (كتاب الزكاة ١٤١٧) عَنْ مُجَاهِدٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ) قَالَ كَبُرَ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّه عَنْه أَنَا أُفَرِّجُ عَنْكُمْ فَانْطَلَقَ فَقَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّهُ كَبُرَ عَلَى أَصْحَابِكَ هَذِهِ الآيَةُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (**إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَفْرِضِ الزَّكَاةَ إِلاَّ لِيُطَيِّبَ مَا بَقِيَ مِنْ أَمْوَالِكُمْ وَإِنَّمَا فَرَضَ الْمَوَارِيثَ لِتَكُونَ لِمَنْ**

بَعْدَكُمْ)، فَكَبَّرَ عُمَرُ ثُمَّ قَالَ لَهُ (أَلاَ أُخْبِرُكَ بِخَيْرِ مَا يَكْنِزُ الْمَرْءُ الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا سَرَّتْهُ وَإِذَا أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ وَإِذَا غَابَ عَنْهَا حَفِظَتْهُ)[1].

فإذا ما كان الاختيار مدروساً متكافئاً حسب ما جاء في القوانين القرآنية والنبوية التي بينا بعضها آنفاً فستكون الزيجة عندئذ ناجحة بكل المقاييس، أما إذا اختلت المعادلة لسوء تقدير أحد الأطراف فلا يلومن إلا نفسه.

وعلى كل حال فقد وضع القرآن الكريم الحلول المناسبة التي تحاول منع المشاكل المؤدية إلى الانفصال، فجعل من سور النساء، الأحزاب، النور، الطلاق، وغيرها من السور والآيات وكذلك أحاديث المصطفى ﷺ مدرسة لذلك.

تدبر معي أخي الكريم كيف يراعي القرآن الكريم الحالة النفسية للزوج والزوجة، فالزوج يمر بمشاغل الحياة وتعبها وهم العيال واللهث وراء الرزق وطرق أبوابه وما يصاحب هذا من تعب جسمي ونفسي وذهني وجسدي ليؤثر ذلك على نمط سلوكه وتصرفه، وقد يلاقي من التوبيخ والتقريع والإهانة من رب العمل، أو المنغصات من الناس ما يجعله يعود لبيته منهكاً ليحول كل ذلك إلى أسرته وزوجه وعياله... وتلك المرأة المسكينة تمر بمراحل تغير من نفسيتها بل وحتى من نمط تفكيرها وتبعاً لذلك عمل هرموناتها، فمن رهبة الدخول لقفص الزوجية، مروراً بالحمل والولادة والرضاعة والنفاس والحيض وما يصاحب كل ذلك من تأثير على الحالة النفسية والجسدية والذهنية لها، فضلاً عن أنها مسؤولة عن مراعاة مزاج الزوج وتقلباته وتربية الأطفال ومعاناتها وواجبات البيت وإفرازاته مع تحمل أمراض المجتمع وإرهاصاته... فقد أثبتت البحوث الحديثة أن الحيض لوحده (وهو كما يعرفه الأطباء والمختصون بأنه إسقاط مصغر) يجعل من حال المرأة كحال المجنونة أقرب منها إلى العاقل لما له من تأثيرات سلبية على كل خلية فيها، فيتغير المزاج والتفكير وتتدهور الصحة والتركيز وتضعف السيطرة على الأعصاب وما إلى ذلك من تغييرات تم ثبوتها خلال التجارب والبحوث الحديثة، وقد ذكرنا بعض الإعجازات القرآنية في موضوع الحيض في كتاب

---

(١) انظر كتابنا (المنظار الهندسي للقرآن الكريم)، الباب الثالث/الفصل الرابع (سقف من فضة وبيوت من زخرف) ففيه تفاصيل واسعة حول هذا الموضوع.

الطب من هذه السلسلة.

إلى كل تلك الأسباب وغيرها شرع القرآن الكريم والسنة المطهرة أساليب للعلاج النفسي والاجتماعي لمراعاة حالات الخلاف والاختلاف بين الزوجين منعاً للكارثة، ومن ذلك ما جاء في سورة الطلاق بأسرها وكيف أن الخطاب فيها جاء — لمن يتدبر– وكأن الله تعالى بعظمته وجلاله يتقدم بالرجاء للزوج أن يعرض عن فعلة الطلاق فيخاطبه تعالى، وما أعظم الخطاب، بعد كل تفصيل في السورة بعبارة ﴿ ...وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ... ﴾، أي من يخاف ربه فعلاً فلن يطلق زوجه مهما كانت الأسباب إلا التي يستوجب الطلاق فيها كفعل القبيح والعياذ بالله، فقد جاءت هذه العبارة ثلاث مرات في السورة للتأكيد على هذا الطلب، تخيل أخي الكريم أن الله تعالى يتقدم إليك بالرجاء، فأي منزلة للأسرة والمرأة تلك التي رسمها الإسلام، وليسمع كل أعدائه عظمة هذا الدين، وليفهم كل الأدعياء والجهلة كم هي الرقة ودفء المشاعر التي يرسمها لنا شرعنا الحنيف في أحلك الظروف التي تمر بها الأسرة، اسمع يا أخي وتدبر:

- **الرجاء الأول بعدم الطلاق حتى إن كان الأمر قد وصل إليه، فالتراجع عنه أقرب لمحبة الله ورضوانه حفاظاً على رباط الأسرة التي هي عند الله تعالى ميثاق غليظ، رجاء جزاءه تفريج الهم:** ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا ٱلشَّهَـٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ ﴾، (الطلاق : ٢).

- **الرجاء الثاني بعدم الطلاق، رجاء جزاءه فتح أبواب الرزق مع تيسير الحال في الدنيا** ﴿ وَٱلَّـٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَـٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّـٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُو۟لَـٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ۝٤ ﴾، (الطلاق : ٤).

- **الرجاء الثالث بعدم الطلاق، وجزاءه أعظم من سابقيه وهو تكفير السيئات وتعظيم الأجر في الآخرة:** ﴿ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ

يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾ ﴾، (الطلاق: ٥).

والأمثلة في هذا المقام أكثر من أن تضرب، ولكن دعونا نتدبر ما جاء في سورة النساء حول الإجراءات الاحترازية والوقائية والنفسية في منع حدوث الخلاف المؤدي للهدم والطلاق، يقول تعالى:

١- ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾، (النساء: ٣٤)[1].

٢- ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾، (النساء: ٣٥).. ﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ ﴾، (النساء: ١٢٨).. فعملية إدخال عنصر الإصلاح من قبل آخرين هو الدور الذي يمثله اليوم وفي زماننا المتطور هذا المصلح الاجتماعي أو قل المراقب والباحث الاجتماعي، واختيار الأقرباء والعقلاء منهم هو لحرصهم على الإصلاح أكثر من غيرهم. إذ عندما تصل الأمور بين الزوجين بأن يتملكهما الغضب ويأخذهما الاعتداد بالنفس والعزة بالإثم كل مأخذ فعندئذ لا يمكن للنصح أن يفعل فعله، فلا بد من طرف متعقل يتصدى للأمر ويأخذ بزمام المبادرة لفعل الصلح الذي جعله الله تعالى واحداً من أهم

---

(١) سنتطرق إلى معنى القوامة للرجال على النساء في كتاب (الاقتصاد والاجتماع) من هذه السلسلة... كما وأن معنى النشوز أي الإعراض عن واجب المطاوعة لا يعني هنا تسلط الرجال واستغلالهم لهذه الصلاحية في التعدي على الزوجة لأقل تقصير قامت به، وإنما فصّل أهل العلم في هذا، ولكن الجهل الغالب على الناس في أمور دينهم وتغييب التعليم الصحيح لمفاهيم الشريعة بل والتهكم بها في وسائل الإعلام المغرضة جعل أكثر الناس يلومون الدين ويحولون المباح بشرط إلى حلال مطلق، فنعيب زماننا والعيب فينا.....

أنواع الحديث الدائر بين الناس لأن أكثره في أمور تافهة أو باطلة أو لا تؤدي لسمو البشر، فقال تعالى ليبين عظمة فعل الصلح والإصلاح ﴿ ۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾، (النساء: ١١٤).

ولعلنا لا نعطي للموضوع حقه ولا نفيه كل تفاصيله مما جاء في هذا الأمر من آيات وأحاديث، وحسبنا أننا بينا عظمة السبق القرآني في علاج حالات الخلل النفسي والاجتماعي في الأسرة وأعضائها. ونترك الإفادة لأهل الاختصاص والإجادة.

٥- سلوك النفس البشرية في القرآن الكريم:

ذكر الله تعالى لنا في القرآن الكريم حالات النفس البشرية وأمراض القلوب، وفصلت ذلك السنة المطهرة. وقد نحتاج إلى عدة مؤلفات لتفصيل ذلك، ولكننا آثرنا أن نختصر قدر الإمكان.

هناك سورة كاملة تسمى سورة الإنسان في القرآن الكريم، كما ذكرت كلمة الإنسان معرفة (٥٨) مرة، وكلمة إنسان نكرة (٦٥) مرة، وكلمة نفس نكرة (٤٧) مرة، وكلمة النفس معرفة (٧) مرات، كل ذلك يدل على أهمية الموضوع، وأن معالجة هذه النفس الإنسانية هي الأساس في نزول القرآن.. سوف نستعرض أدناه وبإيجاز بعض الحالات التي تطرق إليها الكتاب العزيز في هذا الموضوع مع تعليق مقتضب، مع التذكير بأننا سنذكر تفاصيل أكثر في هذا الموضوع في كتاب الاقتصاد والاجتماع من هذه السلسلة خصوصاً ما يصاحب البشر من قلق جراء تصرفات اجتماعية بعينها:

١. ضعف الإنسان اتجاه الشهوات:

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ ﴾ (آل عمران: ١٤).

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾، (النساء: ٢٨).

٢. حاجة الإنسان إلى رب يلتجئ إليه وقت الشدائد، ومن ثم إنكار فضل الله تعالى عليه:

﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ (يونس).

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ ﴾ (هود: ٩).

﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ (إبراهيم: ٣٤).

﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ ﴾، (الإسراء: ٦٧).

﴿ ۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ ﴾ (الزمر: ٨).

﴿ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَـٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ ، (الزمر: ٤٩).

﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ ﴾ ، (فصلت: ٥١).

٣. كفره بالنعمة:

﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ ﴾ (الشورى: ٤٨).

﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾، (عبس: ١٧).

٤. أنانية الإنسان، بخله، خوفه، سرعة جزعه، وحبه لذاته:

﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ ﴾ (الإسراء: ١٠٠).

﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ ﴾، الفجر.

﴿ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾، (المعارج).

﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ ﴾، (التغابن: ١٦).. والشح أعلى مراحل البخل، فمن يتخلص من مرض الشح هذا فإنه مؤكد سيكون من المفلحين في الدنيا والآخرة، لذلك مدح الله تعالى أهل المدينة من الأنصار الذين استقبلوا إخوانهم من المهاجرين وأعطوهم كل ما يتمنون عن طيب خاطر، فكانوا بحق من الذين انتصروا على مرض الشح والبخل فتسلقوا سلم السمو الروحي والنفسي والفكري ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾، (الحشر: ٩).

٥. عجالة الإنسان:

﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾ ﴾، (الإسراء: ١١).

٦. ميله للإحباط واليأس:

﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا﴾، (الإسراء: ٨٣).

﴿ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ ﴾، (فصلت: ٤٩).

٧. مكابرته وحبه للجدل وعناده:

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ

جَدَلاً ﴿٥٤﴾ ﴾، (الكهف: ٥٤). ﴿ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ ﴾، (مريم).

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ﴾ (الحج: ٨).

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴿٧٢﴾ ﴾، (الأحزاب: ٧٢).

٨. فطرة الإنسان على محبة أولاده وأهله ووالديه، وتوصية الإنسان بوالديه:

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ (العنكبوت: ٨)، ومثلها في لقمان.

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾، (الأحقاف: ١٥).

٩. وسوسة النفس وحديثها:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾، (قّ: ١٦).

١٠. اغترار الإنسان وميله للدنيا:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ﴾، (الانفطار: ٦).

١١. تذكير النفس بلقاء الله تعالى مهما طال العمر:

﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ ﴾، (النازعات: ٣٥).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ ﴾، (الانشقاق: ٦).

١٢. تعجب الإنسان وذهوله عند حصول ما لا يرغب:

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا

﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾، (الزلزلة).

١٣. عظمة خلق الإنسان :

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ ، (التين : ٤).

١٤. أمراض الحسد والسحر ووسوسة الشياطين

وهو ما ذكر في سورتين من أعظم ما أنزل على المصطفى ﷺ ألا وهما المعوذتان (الفلق والناس) ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ ﴾ .. ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾ ﴾ .

هذه الأمراض قد تكون جراء أسباب تربوية أو اجتماعية أو بيئية معينة. لأن من أثر قوانين الابتلاء والفتنة والتسخير [1] أمراضاً تدخل وتأكل في قلوب الناس والمجتمعات فتعمل على نخرها وتدميرها ومنها الحسد والغيبة والنميمة وغيرها، وهذا قد حدّث به القرآن الكريم كما يتبين ذلك في قول الله تعالى محدثاً عن لسان أقوام سبقوا ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ ، (الأنعام : ٥٣).. ومعنى الفتنة هنا ما يكون من أمر الحسد بين الناس بسبب تفضيل بعضهم على بعض، ومنه الحسد الذي لا يدخل في باب الغبطة وهو الحسد الجالب للأذى بأنواعه. ومن الحسد حسد للمال والولد والجاه والسلطان والعلم (وهو أخطر الحسد الذي كان سبباً لعداوة أهل الشر للأنبياء والرسل والمصلحين والعلماء) وغيره... ومن هذا كان معنى قول سيدنا يعقوب عليه السلام لأولاده عند دخولهم على عزيز أن ادخلوا من أبواب متفرقة خشية أن تحسدوا لكثرتكم، وهو ما

---

(١)يراجع كتابنا (القوانين القرآنية للحضارات) حول القوانين المسببة لهذه الأمراض.

عبرت عنه الآية الكريمة التي تحدثت عن القصة في سورة يوسف ﴿ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغۡنِي عَنۡهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ إِلَّا حَاجَةٗ فِي نَفۡسِ يَعۡقُوبَ قَضَىٰهَاۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾، (يوسف).

وقد بينت أحاديث المصطفى ﷺ مسائل مهمة في أمراض النفس ومنها الحسد والكذب والغيبة والنميمة وأثرها الهدام على الناس في الدنيا وأكلها لحسناتهم يوم القيامة... وفي الحسد أيضاً وهو من أنواع أمراض النفس البشرية التي تدخل في باب الفتنة والابتلاء والتسخير وفي أمراض أخرى نزلت المعوذتان وهما من أعظم السور التي جاءت الأحاديث الصحيحة لتبين مكانتهما وعظم أجر تلاوتهما وحفظهما.

١٥. تقسيمات النفس البشرية:

ولقد قسم القرآن الكريم النفس البشرية إلى نفس مطمئنة مؤمنة ينحصر همها في الآخرة ولا تنظر إلى الدنيا إلا كمحطة سفر. والنوع الثاني هي النفس اللوامة التي تستمر بالمحاسبة على الأعمال، والنوع الثالث الخبيثة الأمارة بالسوء .

كما وذكر القرآن أن النفس في صراع دائم بين الفجور والتقوى، وأن الذي يفوز هو الذي يدربها على محاربة الهوى والشهوات المحرمات. وهذا ما نجده في قوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾ ﴾ ، (الفجر).

﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلۡقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذٍ أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ ﴿١٠﴾ ﴾، (القيامة).

﴿ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾ ﴾ ، (يوسف: ٥٣).

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾، (النازعات).

والناس على أصناف ثلاثة كما فصل الكتاب العزيز في عدة مواضع ومنها بداية سورة البقرة، المؤمن والكافر والمنافق، وقد أعطى القرآن كل صنف حقه من التفصيل.

وأما أمراض النفس والقلب فهي على نوعين أمراض الشك وأخطرها الشك بالغيب الذي أخبر عنه الله تعالى، وأعلى مراحله الكفر بالله والعياذ بالله، والنوع الآخر هو أمراض الشهوة ومنها شهوات الحواس كالفرج والبطن واللسان، وفي هذا تفصيل كبير، إذ تتفرع من هذين النوعين أنواع أخرى يطول المقام بشرحها.

١٦. تأثير نقض العهود وخلف الوعود على تصرفات وسلوك الشخص:

ثبّت القرآن الكريم حقيقة مهمة مفادها أن من ينقض العهد والوعد مع الله ومع الناس فإن مصيره ونتيجة عمله ستؤثر على سلوكه. هذا التأثير مفاده نفاق وتخبط بالتصرف يتبعه اختلال في الشخصية، وأما في الآخرة فعذاب مهين ما لم يستدرك بالتوبة ﴿ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾، (التوبة). هذه الآيات كما تحدثنا كتب السيرة نزلت في الصحابي ثعلبة الذي أطلق عليه رسول الله ﷺ حمامة المسجد، إذ كان لا يحضر ﷺ إلى المسجد يوماً إلا ورآه قبله. لكن هذا الصحابي طلب من النبي ﷺ أن يسأل الله له الغنى، فلما ألح بالطلب عاهد الله ورسوله ﷺ والمؤمنين أنه إذا ما آتاه الله المال ليعطين كل ذي حق حقه. فلما دعا له النبي ﷺ بما أراد آتاه الله مالاً وغنماً، ولما طلب منه دفع زكاتها رفض ونقض عهده، فدعا عليه النبي ﷺ فحرّم ماله على المسلمين ولم تؤخذ منه زكاة رغم ندمه لا في عهد النبي ﷺ ولا في عهد الخلفاء الثلاثة الذين تولوا أمر المسلمين من بعده أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، ومات في عهد عثمان ولم تقبل منه زكاة فمات على الكفر.

وهنا نركز على أن نقض العهد يورث نفاقاً في القلب وتخبطاً في السلوك، وهو قوله تعالى ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟

يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾، (التوبة: ٧٧).

١٧. الأساليب القرآنية للنقاش وتأثيرها على نفسية المقابل:

كذلك فإن القرآن الكريم ينوع أسلوب التحدث والمناقشة والنصيحة مع الناس، وذلك لاختلاف أصناف نفسياتهم وتركيباتها، فالدين النصيحة كما يعلمنا ﷺ . اسمع إلى قوله تعالى:

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ ، (النحل: ١٢٥).

﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ ، (الأعراف: ١٩٩).

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ ، (القصص: ٥٥).

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾ ، (النساء: ٣٥).

﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ ﴾ ، (النساء: ١٢٨).

﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ ، (آل عمران: ١٣٤) .

﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾ ، (الزمر: ١٠).

﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ

فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ ، (الحجرات).

من خلال تدبر الآيات أعلاه وغيرها نستنتج أن الدعوة إلى الله تعالى والمناقشة العامة وأساليب الإصلاح تكون بأحد الأساليب الآتية أو بها جميعاً وحسب الحالة:

١. **الدعوة والمناقشة بالحكمة:** وهذه تكون لأصحاب العقول النيرة، والقلوب الشفافة.

٢. **المناقشة بالموعظة الحسنة:** وهذه تكون لأصحاب الآراء المترددة واللامنتمية.

٣. **المناقشة بالجدال الحسن:** وهذه لأصحاب الأهواء والعقول البعيدة عن المنطق والرأي العلمي السديد.

٤. **الابتعاد عن الجاهلين:** وعدم مناقشتهم لجهلهم وسفههم وانعدام إمكانية هدايتهم.

٥. **حالة الاستحضار والنية تمكن من إنجاز الهدف:** فحالة إرادة الصلح لطرفي النزاع هي التي تمكن من إنجاز الصلح بأن يوفقهما الله تعالى لذلك، وهو قوله تعالى ﴿ ...إِن يُرِيدَآ إِصْلَـٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ... ﴾ .

٦. **استخدام أطراف أخرى:** تكون أكثر حكمة ودراية وروية لتساعد في حل المشكلة، ومنها أطراف من أهل وذوي أصحاب المشكلة لأنهم أكثر إحساساً واهتماماً وأحن من غيرهم على أولادهم وأقربائهم.

٧. **آخر الدواء الكي :** استخدام كافة أساليب الهداية والإصلاح ثم يأتي العقاب الجسدي كحل أخير يستخدم إذا أعيت الناصح كل الأساليب النفسية والإصلاحية والنقاشية.

٨. **الصبر أولاً** : في كل الأحوال يدعو الله تعالى إلى الصبر وعدم التعجل بالرد، فكانت جائزة الصابرين أعظم الجوائز وهي دخولهم الجنة بغير حساب في يوم الحساب.

وفي علم النفس الخاص بتربية الأولاد، يعلمنا المصطفى ﷺ أن تربية الأولاد تكون بمراحل وحسب العمر، ولكل فئة عمرية نصيبها من المعاملة، كما وينهانا ﷺ عن التفريق بين الأولاد في العطايا والتعامل، ونهانا أيضاً عن الضرب المبرح، ويأمرنا بتقبيل الأولاد والترفيه عنهم وتقديم الهدايا لهم، ففي صحيح البخاري (بَاب الْهِبَةِ لِلْوَلَدِ) يقول: وَإِذَا أَعْطَى بَعْضَ وَلَدِهِ شَيْئًا لَمْ يَجُزْ حَتَّى يَعْدِلَ بَيْنَهُمْ وَيُعْطِيَ الآخَرِينَ مِثْلَهُ وَلاَ يُشْهَدُ عَلَيْهِ وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : (**اعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلاَدِكُمْ فِي الْعَطِيَّةِ وَهَلْ لِلْوَالِدِ أَنْ يَرْجِعَ فِي عَطِيَّتِهِ وَمَا يَأْكُلُ مِنْ مَالِ وَلَدِهِ بِالْمَعْرُوفِ وَلاَ يَتَعَدَّى**)، وَاشْتَرَى النَّبِيُّ ﷺ مِنْ عُمَرَ بَعِيرًا ثُمَّ أَعْطَاهُ ابْنَ عُمَرَ وَقَالَ اصْنَعْ بِهِ مَا شِئْت. بل إن المتتبع لقصة سيدنا يوسف عليه السلام في سورة يوسف يجد أن السبب الرئيسي في كل ما جرى من مآسي له جاءت بسبب حقد أخوته عليه لإحساسهم أنه مفضل دونهم عند أبيه.

وفي كل هذه الأساليب التربوية النبوية الشريفة من الروعة والدقة للتقسيم العمري للأولاد ما يغني عن التفسير والتفصيل، ويكفي أن نقول أن علم النفس الحديث وبعد تجارب لسنين طويلة أثبت صحة كل ذلك.

واسمع كيف يجمع لك القرآن صفات عديدة للنفس البشرية مع علاجات اجتماعية وقضائية لظواهر عديدة في كلمات معدودات: ﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ

ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ ، (الشورى)..

فقد جمعت الآيات المباركات الدعوة للزهد بالدنيا لأن ما في الآخرة أفضل من حيث النوع وأكثر دواماً، ولكن لمن يحمل مواصفات خاصة في مواقف صعبة، وهم:

١-أهل الصبر والتحمل في تجنب الشهوات من كبائر الإثم والفواحش والفتن إذا ما تعرضوا له.

٢-الذين يغفرون أثناء الغضب، ويا له من موقف.

٣-المستمرون على العبادات بأكمل صورها.

٤-أهل المشورة والتشاور وعدم الاستبداد في أوقات الشدة والفرج.

٥-الذين ينفقون من أموالهم للمحتاجين في أوقات العسر واليسر.

٦-الذين ينتصرون للمظلوم أمام الظالم أياً كان نوعه ومهما بلغت قوته.

٧-أهل العفو والعدل في جميع المواقف ولو على أنفسهم والأقربين.

٨-كما تشكل لنا الآيات نفسها قانوناً للدفاع عن الحقوق للفرد والجماعة، ومتى يتحتم الصبر ومتى يجب الاقتصاص من الظالمين.

والآيات المعالجة للحالات النفسية والاجتماعية كثيرة جداً في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، يمكننا إن تبحرنا فيها أن نصل للحقيقة الساطعة وهو أن ما جاء به الإسلام من العدل وطبقه على مدار قرون عديدة في البلدان التي حكمها، خصوصاً عندما

طبق الشرع الحنيف بشكل كامل، لم تستطع أية تشريعات أخرى على مدى التاريخ من أن تدانيه في ذلك.

إن النفس البشرية تبقى أكثر الأمور غموضاً وسبب ذلك يعود لجهلنا بهذه اللطائف الإلهية العظيمة، العقل أو الدماغ، الروح ومكنوناتها وأسرارها: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾، (الإسراء: ٨٥).

سنحاول في الكتاب اللاحق سبر أغوار هذه اللطائف الإلهية الكريمة التي شرف الله تعالى الإنسان بها فميزه بها عن بقية خلقه. فلنا عودة بإذن الله تعالى إلى موضوع النفس والأحلام والباراسايكولوجي وكيف عالج القرآن الكريم موضوع الحالة النفسية لرائي الحلم أو الرؤيا في كتابنا اللاحق من هذه السلسلة، وفي كتاب الاجتماع سنعرج على الفروقات النفسية والسلوكية والتشريحية لدماغ الجنسين. فهذا القرآن لم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ولكن الناس يعاندون ويجادلون وهم لا يعلمون أنهم على أنفسهم يضحكون، وصدق الله تعالى الذي يواسي نبيه ﷺ بعدما كذبه قومه وأحزنوه وآذوه وهو الذي يريد لهم الخير، بقوله سبحانه: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾، (الأنعام: ٣٣).

فسبحان من أحصى كل شيء وعده عدا، وأعطى لكل حق حقه وهدى..

إلى اللقاء مع الكتاب القادم والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

أعمال للمؤلف

١. كتاب (**المنظار الهندسي للقرآن الكريم**)، دار المسيرة، عمان- الأردن، ط / ١، ١٤٢٢هـ — ٢٠٠١م.

٢. كتاب (**المنظار الهندسي للقرآن الكريم**)، دار المسيرة، عمان - الأردن، ط / ٢، ١٤٢٥هـ — ٢٠٠٤م.

٣. كتاب (**أنت والأنترنت- جلّ ما تحتاجه من خدمات الشبكة العالمية-**)، دار الرشد، ط/١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

٤. كتاب (**القرآن منهل العلوم**)، طبع الجامعة الإسلامية، بغداد، ط/١، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

٥. كراس (**مواصفات الفحوص المختبرية لأعمال الهندسة المدنية**)، مع مجموعة من المختصين، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

٦. كتاب (**القوانين القرآنية للحضارات -النسخة المختصرة، ١٢٥ صفحة من القطع الصغير-**)، طبع ببغداد عام ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٧. سلسلة كتب (**ومضات إعجازية من القرآن والسنة النبوية**- ١٥ جزءاً-)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

أ. التأريخ والآثار.

ب. المادة والطاقة.

ت. الفلك.

ث. الأرض.

ج. الرياح والسحب.

ح. المياه والبحار.

خ. النبات والإنبات.

د. الحيوانات والحشرات.

ذ. الطب.

ر. الصيدلة والأمراض.

ز. الوراثة والاستنساخ.

س. الجملة العصبية والطب النفسي.

ش. الأحلام والباراسايكولوجي.

ص. الاقتصاد والاجتماع.

ض. آخر الزمان.

٨. كتاب (**القوانين القرآنية** للحضارات – النسخة المفصلة، ٣٦٥ صفحة من القطع الكبير)، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان..

٩. كتاب (تفصيل النحاس والحديد في الكتاب المجيد)، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان.

١٠. عدة بحوث في مجال الهندسة المدنية منشورة في مجلات ومؤتمرات هندسية مرموقة داخل العراق وخارجه.

١١. عدة بحوث ومقالات في مجال الإعجاز القرآني منشورة في صحف ومجلات ومؤتمرات مرموقة داخل العراق.

١٢. عدة أعمال مرئية تلفازية وحاسوبية في محطات محلية وأخرى فضائية عربية.

مشاريع كتب للمؤلف

١. كتاب (استنباط الحلول من أسباب النزول)، قيد التأليف.

٢. كتاب جامعي عن المواد الهندسية، قيد التأليف.

٣. تصاميم شبكات الخدمات المائية والصحية، قيد الإعداد.

فهرس المحتويات

مقدمة ٣

الفصل الأول: الجهاز العصبي والحسي ٥

١- الأعصاب وجذع الدماغ ٥

٢- الناصية ١٥

٣- الإحساس ٢٨

٤- الحواس ٣٠

الفصل الثاني: علم النفس والسلوك ٣١

١- النضج العقلي والذهني ٣١

٢- المعالجة النفسية القرآنية للفرح والحزن ٣٢

٣- الغضب والعلاج الإسلامي ٣٤

٤- علاج القرآن الكريم لتدهور العلاقة الزوجية ٣٧

٥- سلوك النفس البشرية في القرآن الكريم ٤٦

فهرس المحتويات ٦١